نهر الموت

اسم الكتاب: نهر الموت
نوع العمل: مجموعة قصصية
التأليف: أحمد عبد الله إسماعيل
إخراج فني: سالم عبد المعز سواح (عمرو سواح)
رقم الإيداع: 2022 / 1664
الترقيم الدولي: 978-977-835-287-0
الناشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر





دار زحمة كتاب للنشر
Facebook
Email za7ma-kotab@gmail.com
Tel 002 01205100596
002 01100662595



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

نهر الموت



أحمد عبد الله إسماعيل

تقديم الناقد الأكاديمي
الدكتور أحمد فرحات

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾[1]

---

١ النمل: ١٩.

الإهداء

إلى والدتي العزيزة، أطال الله بقاءها.

إلى روح والدي، رحمه الله.

إلى محمد، ملامحي التي ستبقى بعد رحيلي.

إلى فاطمة، قرة عينيًّ.



شكر وعرفان

الحمد لله الذي علم الإنسان مالم يعلم، الحمد لله عدد ما كان وعدد ما يكون وعدد الحركات والسكون وبعد،

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان والامتنان إلى المهندس / وائل جويد رئيس مجلس إدارة شركة غاز مصر عرفانًا مني بتوجيهاته السديدة، وعلى تشجيعه ودعمه؛ فكان نبراسًا أهتدي به، فله مني باقة شكرٍ معبقةٍ بأريج المحبة والمودة والاحترام، والله أسأل أن يجزيه خير الجزاء.

والشكر لاتحاد كتاب مصر ذلك الصرح الثقافي الشامخ الذي نفتخر بشرف الانتماء إليه.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى الناقد العلَم معالي الدكتور / أحمد فرحات على تقديمه النصح والإرشاد والتوجيه، وأن شرفني بكتابة مقدمة نقدية تزين صدر هذه المجموعة القصصية.

والشكر موصول إلى الأخ الأكبر والصديق العزيز / طاهر سليمان الصحفي بجريدة الأهرام العريقة عرفانًا مني بمحبته وفضله وإخلاصه وتعاونه معي في كل وقت.

والشكر والتقدير إلى الأديبة والروائية والشاعرة الدكتورة / زينب أبو سنه التي شرُفت بالعمل معها في إصداراتي الأربعة السابقة، فكانت مثالًا للإخلاص وحسن المشورة.

*****

قراءة في حلم
أحمد عبد اللّه إسماعيل

د. أحمد فرحات

يقال عن الحلم: حلم يحلم إذا رأى في المنام، وحلم به وحلم عنه وتحلم عنه: رأى له رؤيا أو رآه في النوم، بالضرورة هناك ارتباط بين (الحلم والرؤيا) بل إن الدلالات اللغوية للحلم والرؤيا واحدة إلا أن التمييز قد يقع بين الرؤيا والحلم وفق ما قدمه سعيد يقطين من كون الرؤيا الصادقة لها دلالة؛ فهي إذن (نص)، أما الحلم فمجموعة أوهام لا طائل لها، فهو (اللانص) وقد تتحول الرؤيا (النص) إلى (اللانص) حين يتعذر على المؤول منحها تفسيرا أو تأويلا، وحين لا يريد المؤول كشف وفض ذاتية الرائي.

فرق غاستون باشلار بين أحلام النوم وأحلام اليقظة، حيث يمنح الثانية الجانب الجمالي والبعد الإيحائي أكثر مما قد يكون في الأولى؛ إذ تتميز تصوراته بالتشديد على ضرورة التمييز بين أحلام النوم وأحلام اليقظة باعتبار الأولى لا تعدو أن تكون تعبيرا سلبيًّا واستلامًا للذات ولا تنطوي على أي بعد جمالي أو طاقة إيحائية، بينما الثانية تعبير حي للذات عن دهشتها الوجدانية أمام مظاهر الوجود وعناصره الطبيعية.. ومن ثم فهي طاقة غريزية ذات ملمح شاعري تستهدف الارتقاء بالشعور من مستواه الإدراكي العادي

المحدود إلى مستوى الخلق والابتكار".

يوظف أحمد عبد الله إسماعيل الرؤيا في قصة "درويش" توظيفًا فنيًّا يشي باهتمامه الزائد بالرؤيا، وليس الحلم انطلاقًا من الحديث الشريف "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان" فيقول:

"رأيت في منامي رجلًا يمشي على وجلٍ، وحيدًا في صباح يوم تفتحت فيه الأزهار، يحمل في نظراته أملًا، سمعته يقول: إنه لا يتخوف سوى من تشتتنا بعد موته، يلعن الأنانية، ويترقب نظراتي، ثم أوصاني بأخي الأكبر، تعجبت كثيرًا، حاولت معرفة المزيد..."

الرؤيا كما ترى مباشرة، لا تتعبك في التأويل، فهي وصية من رجل غريب، يخشى تشتت الأسرة، فيوصي بالأخ الأكبر، ثم جاءت الحيرة والدهشة من الرائي، الذي حاول معرفة المزيد لكنه استيقظ على أصوات البائعين المتجولين، وهي رؤيا تحمل في طياتها نوعًا من الترقب والتوتر، إذ تشي بوجود خلاف ما بين الأشقاء، فهي رؤيا تجنح إلى الجلاء والانكشاف والوضوح؛ فالرؤيا هنا بمثابة نافذة يطل منها الرائي على ما كان وما هو كائن أو سيكون، وهي تعبير لا شعوري عن رغبات المبدع المخفية في بواطن النفس.

فالرجل الذي كان يمشي على وجل، وحيدًا، هو الأب الذي يرفل في نعيم الجنة، ويخشى على أولاده الضياع والتشتت في الدنيا، فيوصيهم بالاتحاد والتعاون، والوقوف معًا جنبًا إلى جنب. وعدم معرفة الرائي بتأويل رؤياه جعله يلجأ إلى مفسر للرؤيا، فلجأ إلى درويش من العارفين.

ومن الجلي أن الرؤيا التي رآها الرائي في منامه تمثل نزعة ثقافية، نفسية، اجتماعية، في آنٍ معًا، تصور عالمًا نفسيًّا اجتماعيًّا -نتيجة وجود خلاف ما بين الإخوة الأشقاء مما استدعى رؤية الأب في المنام- يمور في وجدان السارد، وقد جاءت في شكل مكون سردي ضمن بناء سردي مكتمل ، ولم تشكل بنية مستقلة، ومن هنا فقد أسهمت في استدعاء شخصيات دينية ذات أثر ثقافي شعبي لدى العوام، منها (سيدي السطوحي الملثم) (نفيسة العلم) (سيدي برهان الدين) وهي شخصيات تجنح إلى ما جاء في صدر المنام من وصايا وحكم وأقوال عامة شائعة كقوله: يا لطيفًا بخلقه، يا عليمًا بخلقه، يا خبيرًا بخلقه، الطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير.

تحمل بعض القصص في المجموعة عنوانًا يمثل البطل في القصة برمتها، ففي قصة "الحلم القاتل" نرى الحلم الملغز يفك شفرة جريمة قتل أرَّقت الشرطة طويلًا، والطريف في الحلم هنا أنه منقول من ملفات القضية، وليس الرائي هو القائل مباشرة بل عن طريق أحد الأشخاص (كرم) الذين رويت لهم حكاية الحلم، فقال السارد:

"أخبرني كرم برؤية غريبة رآها ليلة الجريمة؛ حيث جلست زوجته شاردة على مائدة الطعام، وفجأة سقط ضرسها بعدما نفد طعامها، واصطحبها والدها الميت وخرجا معًا، ولما سأله الزوج عن الوجهة لم يجبه".

"وليس للحلم رغم كل شيء قوة تعديه إلى شخص آخر غير الحالم نفسه، فالحالم هو وحده الذي شاهد الحلم، وهو المعني الأول به، أما الآخرون بمن فيهم العابر نفسه إنما يتقبلون رواية لغوية للحالم".

وفي القصة المعنونة ب "الحلم القاتل" نرى الرؤية تفك شفرات جريمة قتل حدثت منذ ثلاثة عقود، راحت ضحيتها زوجة جميلة، وتم الاعتداء على جثمان المتوفاة بعد القتل، مما أثار حفيظة لواء متقاعد كان مهتمًّا بالقضية، فراح يبحث عن التفاصيل لعله يصل إلى الجاني الحقيقي، بعد أن شك في المحيطين بها، وبالبحث والتنقيب وصل إلى الجاني الفعلي. ومن خلال الرؤيا التي رآها كرم يلتقي فيها الحي بالميت، مائدة الطعام، وقوع الضرس كلها تفاصيل دقيقة تخدم الحدث الدرامي للقصة.

حصر سيغموند فرويد وظيفة الحلم في "تفريغ الكبت الشعوري وقلب الصورة التي يرفضها الوعي لصورة مقبولة من خلال رمزية الحلم"ولذا فقد عزا السارد معرفة القاتل في شخص غريب الأطوار ضاجع الجثة لجمالها الزائد، والحقيقة أن السارد أثار قضية خطيرة في قصته هذه.

وعلى مستوى وظائف الحلم في القصة، فقد تعددت وظائفه في ثلاث وظائف هي: وظيفة تأثيرية؛ بمساهمته في تثبيت أو تغيير وتحويل مجرى السرد في القصة، وتعبيرية تتمثل في كونه قناعًا لرؤى السارد ومواقفه المختلفة، ووظيفة شعرية باعتباره بلاغة

فنية رمزية تثري بنيات النص ومكوناته، وتبتعد به عن لغة المباشرة والتقريرية التي سقط فيها الكثير من المبدعين.

ونلاحظ على المجموعة القصصية برمتها ميل القاص أحمد عبد الله إسماعيل إلى لغة المقامة من حيث السجع، وتقابل الألفاظ وتوازن الصيغ والتراكيب، فيقول في قصة "حب في الهواء":

سافرت يومًا في طائرة، مع امرأة حائرة، روحها ثائرة، وألجأتنا صحبة السفر، إلى الفضفضة والسمر، وأجبرتُ على الاستماع، إلى كل الهموم والأوجاع، أضحك وأنفعل، ويهدأ بالي ويشتعل، وكان يتضاعف على قلبي الهم، كلما أسهبت في وصف ما عانته في زواجها من غم..

وأحيانًا يقيم حوارًا بطريقة شعرية خالصة، فيقول في قصة "ثرثرة في القهوة":

لأي حد يحب مصر بلدنا دار

ولو يفكر يوم يعادي هتبقى نار

وراها جيش شغله يخطط ليل نهار

وفي حضن قلبه هموم الكل الصغار قبل الكبار

رغم إن جيش الدفاع غير الدمار

ويبقى أن أشير إلى موهبة أحمد عبد الله إسماعيل الفطرية، فهو يمتلك حسًّا سرديًّا طيبًا، وينمي من موهبته باستمرار، ولكن

عليه أن يطور أسلوب السرد لنظفر منه بكنز سردي حقيقي، وأن يستمر على مواصلة الإبداع كما في قصة "نهر الموت" التي أجاد فيها من حيث الإثارة البادية في مطلع القصة، وعدم وجود الحشو، فكل كلمة موظفة توظيفًا فنيًّا في خدمة العمل برُمته، ناهيك عن تماسك البنية السردية وقوة الحبكة؛ فما إن تعلق عيناك بسطر فتنشغل بما يليه في متعة وإثارة ودهشة.

الأستاذ الدكتور / أحمد فرحات

كلية الفارابي بجدة (سابقًا)

❊❊❊❊❊

عطر القرية

تزاحمت الأسئلة في ذهنه، ابتسم دون أن يعلق على استفسار زوجته:

-"ما هذا؟ هل نرجع إلى قريتك؟"

أبهجت قلبه، برعشة محب رأى محبوبته بعد لهفة، رائحة شوارع تلك القرية التي افتقدها كثيرًا، ومناظرها التي تدور أمام عينيه كأنها سلسلة من الصور تشكل مشهدًا يلخص حياته، وهو الذي راقت له الحياة المرفهة كأنه ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، عاد لقريته، ولم يتعجب أن وجدها كما تركها، مشى مشية المعتد بنفسه وماله، ورأى المواصلات المتكدسة في الطرق الترابية التي تئن من الإهمال بعيدًا عن العاصمة!

أيُّ رغبة مسيطرة، أعادته من الحياة المليئة بالسحر إلى هذه القرية الرافضة لمنطق التغيير؟! وما موقعها على خريطة الكون؟

لم يدرك، بأي صورة، السبب الذي جعله يخرج من بيته منقبض القلب، برغم ما تسلل إلى روحه من إحساس بفعل رذاذ نسمات الصبح النديَّة، وقد اشتم رائحة الفلافل، تسيل اللعاب، مغلفة بمذاق القرية، وقنوات الريِّ التي تنبض بدفقات تحيي موات رقعتها.

رأى من بعيد، في الضباب الذي اكتست به الآفاق، ظل رجال، لم يتمكن من التحقق من هويتهم، ربما يسرقون ما معه من أموال، ثمن الأرض التي ورثها عن أبيه وما كان البيع إلا اضطرارًا، سيودعها في حسابه بمجرد أن يفتح المصرف بابه، فكاد قلبه يتوقف، وابتلع ريقه مارًّا بمحاذاتهم، محاولًا الابتعاد قدر الإمكان، حتى إذا جاءهم لم يجدهم سوى دُمىً، على شكل فزاعات، مصنوعة من القش ومخبأة في ثياب!

لم يرغب يومًا أن يفصح لزوجته عن الآلام التي كان يحملها في قلبه؛ إذ لم يرغب أي شخص في تغيير قريته للأفضل، بل مشهد قديم معاد لفلاحين يصطحبون ماشيتهم نحو الحقول، مرَّ عليهم فعرفهم وهم له منكرون ، رمقهم بنظرة من يشك في استعدادهم لتغيير نمط حياتهم، و في مرمى بصره لمح، دَهِشًا، طائر "الهدهد" اللافت بعُرفه البني الكستنائي الذي يميز رأسه ونصفه الأسفل الأسود المرقط بالريش الأبيض، يطير في شموخ، بعد أن انحنى على الحقل الموازي للطريق يلتقط الدود بمنقاره !

شعر بضُعفٍ في ركبته اليسرى بمجرد أن هرول في مشيته، و بآلام مبرحة أسفل ظهره، لكنه حافظ على هدوئه، وبعد لحظة دار بعينيه في كل اتجاه، يشبعهما من مناظر قريته في نظرة استثنائية تعيده لحياته الأولى و تبعثه من جديد، فتحلق معها في الآفاق !

كان يهم بمتابعة السير، ولكن شيئًا ما أتاه فجأة فباغته؛ وقف شاخصًا ببصره على طائر "الهدهد" الذي بادله النظر في عجب،

كأنه يستكشف الغريب الذي عاد إلى القرية مضطرًا دون أن يمنح نفسه الفرصة للشعور بمتعة العودة إليها !

كان الأمر عسيرًا؛ إذ كان صعبًا أن يتذكر فصول الرواية ، في نسق محكم يعطي انطباعًا مريحًا للأعصاب ، لكنه بعد برهة تمكن بصعوبة أن ينشط ذاكرته المتعطلة، آخر مشاهد الحياة الوثيرة - في الغربة- حيث تلقى تهديدًا من صاحب الفيلا التي استأجرها ، يطالبه بتسوية وضع إقامته هو وأسرته، تأخر ستة أشهر عن سداد قيمتها بعد توقف أعماله بسبب الكورونا ، وزاد الطين بلة حب زوجته لنمط الحياة المترف الذي يأخذ في طريقه الأخضر واليابس طوال الوقت مما يجعله عصبي المزاج، ولكن لحسن الحظ كانت الحياة ميسورة الحال، مما أشعره بالرضا؛ فمنذ أربع وعشرين سنة لم يكف عن التنزه والسفر في الشتاء أو الصيف. تبدل الحال بعدما اعتاد ألا يحمل للدنيا همًّا ، لكنها تتقلب بين أحوال شتى !

اعتراه أسى عميق، ما أقسى الحياة في تلك القرية ، التي تئن تحت وطأة الحرمان من أهم مقومات الإنسانية، بعد التمتع بكل ما رأى في حياته. أحست قدماه بوعورة الطريق، وكان يرتدي الملابس العصرية ويدخن السيجار، وقد ركن سيارته -المستعملة- في جراج أسفل منزل حديث البناء على مشارفها ، وقف ينظر إلى السماء متعجبًا من صفاء الجو ! آخر ما تبقى في ذاكرته من تلك الأيام، السيارة الفارهة، المدرسة المرموقة التي قيد أولاده بها، عمله الخاص الذي توقف فجأة، وتهديدات صاحب الفيلا !

وضع نظارته الشمسية، ثم توقف يسأل زوجته: "هل كانت أي قرية -زرتها في العالم- أكثر دفئًا من قريتي؟! "

اقتربت منه، ولم تكف عن النظر إليه بعين قاسية، ووضعت يدها فوق كتفه وكأنها تريد أن تواسيه، وقالت إن قرية "شيراكاو-غو" اليابانية هي الأجمل على وجه الأرض، ثم ابتلعت ريقها متذكرة أحلى أيام حياتها معه في قرية "سيدي بو سعيد" التونسية، لكن السماء أوحت لها بشيء؛ إذ أدركت سبب حنينه لمتعة السير في مسقط رأسه .

شعر "محمد" أنه في المكان المحاط بكل مقومات الطُمأنينة؛ حينئذ تطلع نحو زوجته وقال في استخلاص لتجربته :"في القرية دفء قلوب، خلف الجدران، لا يقطع أنسها المتأصل إلا زوبعة عابرة . لم أشتمُّ يومًا رائحة العطر في طريقي كما أتنسم عبير الياسَمينِ في تلك اللحظة".

رأى حينها أنواع الزهور المختلفة، وقد تفتحت فوق الأشجار على جانبي الطريق، تنظر -تمامًا مثل أهله الأصفياء- في كبرياء تارة، و في خشوع تارة أخرى إلى السماء، غير أنه تيقن من قدرته على إقناع زوجته بالعودة.

❋❋❋❋❋

درويش

رأيت في منامي، رجلًا يمشي على وجلٍ، وحيدًا في صباح يوم تفتحت فيه الأزهار، يحمل في نظراته أملًا، سمعته يقول، إنه لا يتخوف سوى من تشتتنا بعد موته، يلعن الأنانية، ويترقب نظراتي، ثم أوصاني بأخي الأكبر، تعجبت كثيرًا، حاولت معرفة المزيد، استيقظت فجأة على صوت صدر من إحدى السيارات المارة في الشارع: "أي حاجة قديمة، أي غسالة قديمة للبيع"، أخذ الصوت يخفت، ويتلاشى صداه حتى سمعت آخر ينادي : "بواقي زيت الطعام، بواقي زيت السمك، الكيلو بعشرة جنيه!"، لم أدهش؛ فما أحوج الناس إلى المال، وما أكثر المطاعم التي تئن تحت وطأة ارتفاع الأسعار، والناس لديها أسنان تمضغ الزلط، ومعدة تهضمه.

تحيرت، مرتبكًا في تجهم، من ينبئني بتأويل رؤياي؟ هل أذهب إلى كهنة آمون أم أقصد يوسف الصديق؟ تملكتني الحيرة من هذا الحلم الذي لم أفهمه، خلته أضغاث أحلام. استجمعت قواي، وتوجهت إلى سيدي السطوحي الملثم، وسألته ملتمسًا الإجابة: "هل عندك تفسير يا سيدي؟!"

هزَّ رأسه رافضًا، كررت عليه السؤال، فنظر في سماحة مداعبًا: "أنت مُتعب، و أضحكني، ثم أبكاني".

تدفق القلق في قلبي، وبدت على ملامحي علامات الخوف، وجف حلقي، ثم جفف دموعي بطرف البردة الخضراء التي يلتحف بها، حتى علت نبرات صوته: "أخوك بحق بركة آل البيت"، ثم اختفى فجأة، فسمعت من يؤذن في المدائن، أقبلت عليهم: "ماذا تفقدون؟"، أما أخي فقد رأيته وكأنه يحتضر، حتى انجلى أمامي سيدي المرسي، وسأل: "هل تتركه؟ ألن تشد عضده؟ هل ينال منه الناس وأنت أنت؟ وما قيمة المال إن ضاع؟ لا تلتفت، واصنع المعروف".

على فراشي، أرى رجلًا، سمح الوجه، بقّع شعره الشيب، تبسم ضاحكًا، رفع الغطاء وجلس بجانبي، قال إنه سيدي برهان الدين، ثم سألني: "أين أجد السعادة؟"

مر ردح من الزمن، أفكر في عجب، فربَّت بيده على كتفي ثم مسح بها على رأسي وقال: "ردد يا درويش، يا لطيفًا بخلقه، يا عليمًا بخلقه، يا خبيرًا بخلقه، الطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير"، ثم عدت إلى نفسي أتساءل: "ماذا قال آنفًا!"

التصقت بأخي كالبنيان، يشد بعضنا بعضا، وفي نومي رأيت امرأة شديدة الوضاءة، وجهها أبيض مُشربًا بحمرة، قالت إنها نفيسة العلم، قبَّلت يدها وانطلقت حتى وصلت إلى ساحة تُفيض بالراحة، لم أعلم موقعي حتى سمعت من يلقي التحية على السيدة المشيرة العظيمة الكريمة، هناك لم أجد إلا الهدوء، وقد أمسكت بيد أخي الأكبر، أنظر في كل اتجاه، ممسكًا في يدي الأخرى بمسبحة

والدي الخشبية.

إنها أول مرة أشعر بتلك الراحة وأنا أغادر الضريـح، كنت أسير كالطفل حين يكون في حضرة أبيه، نفحات بخور المسك المعطرة تداعب وجهي وتستقر بداخلي، الهموم المتشبثة بملابسي وروحي أخذت تتساقط، قطرات ندى بيضاء، ملامح أطفال، زهور، روائح منعشة، تتسارع إلى أنفي وتداعب وجهي، وقلبي يسبح في فضاء حضرة المحبوب.



ثرثرة في القهوة

لم تكن من عاداتي ارتياد المقاهي، لكنني اعتدت مؤخرًا الجلوس فيها كل صباح أحتسي القهوة قبل ميعاد بصمة العمل.

في يوم غَيومٍ من أيام الشتاء، كانت معالم الأصالة ترتسم على وجهها الصَّبوح وهي تساعد ولدها الوحيد في إدارة القهوة. بدا عليها أثر الزمن جليًّا؛ فاشتعل رأسها شيْبًا، أسفل طرحتها، وبرزت عظام وجهها، وحرصت على أن ترتدي نظارة سوداء.

قالت -كما فعلت مرارًا- إنها كانت فاتنة في صباها برغم فقد بصرها مؤخرًا، ثم صاحت بصوت واهن:

-«منهم لله الإرهابيين، هنلاقيها منين ولا منين، قتلوا تسعة من ولادنا في سينا، كفاية إننا نقول يا رب مع كل أدان».

رأيت البرق وهو يضرب ويشق السحب، دخل أحد الزبائن يطلب علبة سجائر، وما إن سمعتْ صوته إلا وقالت:

-«يا مصطفى يا مصطفى أنا بحبك يا مصطفى، كانت بتغنيها داليدا، عارفين إنها من شبرا؟ سمعتهم في الراديو بيقولوا انتحرت!»

لقَّمتُ القهوة وشرعتُ في صنعها؛ إذ كانت، رغم إعاقتها، بمفردها لبعض الوقت، ووجدتُ في ترقُّبها لذةً لا تقل عن متعة شربها بتمهلٍ.

بعد جلوسي بلحظات، تأملتُ مرتادي القهوة، وقد انزوى في أحد أركانها، شاب قوي البنية متوسط القامة خمري البشرة متسخ الأظافر، ينفث دخان المعسِّل الكثيف إلى الداخل؛ فيحمر وجهه، وسرعان ما تظهر علامات انسجام المزاج على ملامحه، ثم يتراقص بجسمه ويديه ورأسه كمن يتفاعل مع أغنية مطربه المفضل، ومددت يدي في دهشة، غير مرة؛ لمصافحته كلما ترك مقعده متجهًا نحوي، كأننا أصدقاء قدامى!

جلس بجانبي شيخٌ بلغ من العمر مداه، سمْح الوجه أنيق المنظر، متلاحق الأنفاس، بدين، له لحية بيضاء قصيرة، وكان يبدو حكيمًا قد اكتملت نظرته للحياة، وكأنه قد خاض منافسات ونزاعات، وتعرض للهلاك مئات المرات، وقال:

-«ربنا ينصرنا في موال سد النهضة، الواد الإثيوبي مستقوي، لكن عندهم خلافات وحروب، برغم إنه حصل على نوبل في السلام! عندنا رجل كبير وعاقل؛ كشف كذبهم لجميع الدول!»

نظر إليَّ في إمعان ثم قال:

-«رأيك إيه يا فندي؟»

كان السؤال من القوة والمفاجأة ما جعلني متحيرًا، وقلت:

-«لأي حد يحب مصر بلدنا دار، ولو يفكر يوم يعادي هتبقى نار، وراها جيش شغله يخطط ليل نهار، وفي حضن قلبه هموم الكل الصغار قبل الكبار، رغم إن جيش الدفاع غير الدمار.

لكن الحقيقة صبحت لكل الناس واضحة وضوح الشمس في

كبد السما وسط النهار، السد ضار، لكن كبيرنا تفكيره غير؛ على كل دم هنا أو هناك ضميره حار.

السد عمره ما كان من غير صحاب، السد عمره ما كان ملك الحبش ولا عمره كان أداة حصار، السد روحه في مصر وفي قلب السودان عمار.

لكن المهم في يوم نقوم الصبح نحضن بعضنا ونقول لبعض: ياه، السد كان كابوس وغار».

ارتجف متسائلًا بصوت مبحوح: «فكرك هتنتهي بسهولة كده؟!»

لم يقطع هدوء المكان سوى صوت الريح تعصف والرعد يقصف، ثم انهمر المطر. حينئذ قدِمَ رجل عبوس أشعث الشعر، نحيف أشبه بهيكل عظمي، له وجه شاحب اكتسى بالهزال، في سن الخمسين أو يزيد، يردد بعض الأدعية في تمتمة، كان غارقًا في الهمِّ بلا شك، وقد وضع يده على صدره، ثم جلس ممسكًا برأسه بشكل يثير الشفقة.

ألقى التحية بصوت متحشرج على الجالسين ثم ردَّ على سؤالي عن حاله:

-«تزوج أبي بابنة خالته التي انتقلت إلى جوار ربها منذ سنوات، ومرض هو بعد رحيلها، وانشغلنا عنه، فلم يرافقه سوى عمي الذي تقاعد مؤخرًا، شعرنا بالذهول من حبه لصلة الرحم وقربه الشديد منه، لدرجة أن أبي أوصى له ببعض مقتنياته.

ليلة الوفاة، أذهلنا برغبته في النوم في سرير شقيقه؛ لذا فقد اضطُرتْ زوجتي إلى المبيت في منزل أسرتها، وكذا زوجات إخوتي!

قال بصوت خرج من بين ضلوعه:

-«سيب المفتاح في الباب، بلاش أزعجك ساعة صلاة الفجر».

جلستُ على السرير ومددتُ يدي أفتح الدولاب، أُصغي لصوت صريره وأنا أصحو من نعاسي، لم أعثر على مبرر منطقي لما قام به: ملابس والدي الفاخرة، ساعته، هاتفه المحمول، ماكينة الحلاقة المستوردة، بل وكل مقتنياته، أخذ كل شيء؟! عمي؟!

قبل دقائق، أخبرني محامي العائلة أنه استغل دخوله في غيبوبة سكر ووضع بصمةَ إبهامِه على الورق ناقلًا كل ممتلكاته لنفسه!»

ما إن فرغ هذا الرجل من حكايته الصادمة حتى قلتُ في اشمئزاز:

-«ما هذا الهراء الذي لا يقبله أي منطق؟!

أشعرُ أن الأمر غريب جدًا لدرجة تجعله مستحيلًا، لا أحد يستطيع تأليف كذبة بهذا الحجم المأساوي!»

اقترب ميعاد بصمة الحضور؛ فاندفعت واضعًا حساب القهوة في يد "عطيات" التي لم تكف عن الدعاء لي متجاوزة، بصورة تثير العجب، أمي في حنانها، ثم هرعت إلى العمل ووصلتُ إلى مكتبي ممتقع الوجه، وصدري يعلو ويهبط بلا توقف أفكرُ في ذلك النذل

الذي خلَّف وراءه بصمةٍ سوداءَ في جبين البشرية، لم أشعر بهذا الإحساس نحو شخص كما شعرت في تلك اللحظة، واندفعتُ لأفتح جهاز الكمبيوتر، وبلا كلمة أخرى اكتفيتُ بثرثرة القهوة عن الكلام باقي اليوم!

*****

نهر الموت

في طريق وعر، نجري بصعوبة قبيل الفجر هائمين على وجوهنا، يتملكنا الرعب ويحيط بنا الخوف، لا نحتمي من البرد القارس فوق الجبل سوى بسماء ندعو في كل شهيق وزفير أن ترحمنا، انتفض جسدي بعدما سقط زميلاي من شدة التعب، أتساءل: هل كان حلمًا، لا بل كان كابوسًا فظيعًا: خدعنا المهرب!

ليست النهاية التي رسمناها في خيالنا لتلك الليلة، عندما يئست متيقنًا من هلاكنا لمحت مع أول خيوط النهار أحد المنازل الحدودية المنعزلة يلوح في الأفق، بعدما أطعمنا وسقانا ما يبقينا على قيد الحياة، ساعدنا رب هذا البيت على العودة إلى الفندق نجر أذيال الخيبة، أما أنا كنت أشعر شعور من يمضغ الحصى بعدما فشلت في الوصول إلى نهر الموت.

قبل أن ألتقط أنفاسي أو أدرك حقيقة ما جرى أو أستحم من غبار الطريق الذي أتجرع مرارته في حلقي مختلطًا بما لاقيت من ضياع، دخل رجل أنيق الملبس، هادىء الخطوة متوسط القامة حليق الشارب واللحية، يسأل بصوت حذر عن مصري يبحث عنه في كل مكان، يدعى فتحي. خفض موظف الاستقبال في كدر صوت أغنية جورج وسوف «كلام الناس»، كرر الرجل سؤاله بصوت مسموع، فأقبلت عليه مندفعًا: "أنا فتحي".

على الفور، داهم رجال الشرطة المكان، قُيدت حريتي طيلة ليال كلها سود حوالك، فقلت متحسرًا: "سجنت نفسي قبل أن أسجن هنا، اليوم أجني ما كنت دومًا أتطلع إليه!"

وفي غرفة التحقيق حُفرت في ذاكرتي صرخات ومشاهد تتراءى كأشباح تتراقص بين الموتى، ويلوح خيال أمي وسط الحقول تمد إليَّ ذراعيها كطيف ملائكي؛ فأحاول جاهدًا الهرب من جحيم المعتقل إلى حِضنها.

لم يختلف حالي عن إخوتي؛ جميعنا كُتب علينا السفر وهو كُره لنا، سافر ثلاثة إلى أرض الأحلام التي تغيرت أحوال معظم أبناء جيلنا بفضلها: العراق، أما أنا وأخي الأصغر فكانت الظروف هي ما جعلت الأردن وجهتنا.

لم تظهر الرغبة في السفر بسبب نقص فرص العمل أو ضيق الحال فحسب، بل إن إقامة والدي في مدينة حفر الباطن طوال طفولتنا وشبابنا، وميل معظم أبناء قريتي بل ومحافظة كفر الشيخ كافة إلى السفر جعل التنقل في البلاد هو الحل الأول الذي يومض في عقولنا كضوء أمل في نهاية نفق مظلم، ويستقر في قلوبنا كتأويل رؤيا لمن يحلم بتفاصيل مستقبله تتحقق أمام عينيه.

أجلس ليلة زواجي إلى يسار عروسي "ابنة الجيران" وقد انتصف عامي الخامس والعشرين، مررت بتجربة مذاقها أمرُّ من الحنظل؛ أتذكر جيدًا ما حدث، لم يكن السفر سوى قطعة من العذاب.

عملت في الأردن بمهنة أبي "منجد" غير أن ظروف العمل هناك لم تكن مرضية كما أن سفر أخي -الذي يصغرني بأقل من عام- إلى سوريا وهجرته منها عبر الحدود إلى لبنان، حيث الحياة وفرص الثراء، شجعني على اقتفاء أثره.

أديت خدمتي العسكرية "قدوة حسنة" متطلعًا إلى السفر برغم رفض أمي، التي تحملني على كفوف الراحة، خشية مرارته. دهستني عجلات الأيام؛ لم أشعر بمرور عام وأربعة أشهر منذ وصولي إلى عمان، فقررت اللحاق بأخي مطلع شهر ديسمبر عام ١٩٩٤.

حزمت أمتعتي أحلم بوصولي إلى ضفاف نهر الموت حتى إني رأيت تفاصيل مستقبلي بها وأنا ما زلت في الأتوبيس.

ما أجمل الطبيعة التي تسحر القلب وتمتع العين، على امتداد الطريق أنظر إلى وجهي المنعكس على زجاج الأتوبيس فأرى، بعد عشر سنوات من الغربة، الشاب طويل القامة جذاب المظهر جميل المحيا ذا الشعر الحالك المجعد، الذي لم يتجاوز الاثنين وعشرين ربيعًا اشتد ساعده، يرتدي الملابس الأنيقة ويركب المرسيدس التي لم يقتنيها في القرية كلها سواه، أرى البيت والزوجة والأولاد السبعة يجرون حولي حتى نزلت في دمشق.

شعرت بقصر الطريق كأني سافرت من كفر الشيخ إلى طنطا، ورغم سفري بصحبة مصريين لم نتجاذب أطراف الحديث كعادتنا

في السفر الطويل.

اطلع ضابط الحدود على جواز سفري، وسمح لي بالدخول.

لا أفكر سوى في الوصول إلى الحلم الذي دونته في ورقة صغيرة برغم أني لم أكن بحاجة إليها؛ كل هدفي في تلك اللحظة هو نهر الموت.

جميلة دمشق تشبه القاهرة كثيرًا، نفس طيبة الأهالي، حتى الوجوه يشع منها الدفء والود.

مر الوقت، لم تظهر أي فرصة للسفر ولم أتعرف إلى مَن يساعدني حتى التقيت بيوسف ابن قريتي المقيم في لبنان، حضر إلى الفندق ليساعد شقيقه على اللحاق به.

رتب لنا السفر إلى مدينة طرطوس الحدودية، غير أنه حذرنا: "السفر مهمة شبه مستحيلة حيث تطارد الشرطة المهربين والسماسرة، آخر متسلل وصل مصابًا برصاصة في كتفه لكنه نجا من الموت، وتمكن بصعوبة من عبور الحدود والطريق الوعر والجو شديد البرودة! "

وصلنا فندق أفاميا البسيط في خدماته وتنظيمه، وبرغم أني لم أسكن الفنادق من قبل لكنه لم يكن بفخامة الأماكن التي نسمع عنها، أقمنا ليلة واحدة، غادر بعدها يوسف إلى بيروت بعدما اطمأن للترتيبات التي قمنا بها.

سألْنا إن كانت هناك فرصة للسفر غير أن سوء الحظ جعله في تلك الليلة مستحيلًا؛ لأن المجموعة المسافرة قد اكتمل عددها.

تجدد الأمل بعد ظهور مجموعة تخطط للسفر في اليوم التالي.

توجست في نفسي خيفة؛ طلب السمسار المصري أن أتحدث مع شقيق الشاب الذي وصل قبل يوم واحد، قال: "أنت مع أحسن ناس".

امتلأ قلبي بالاطمئنان؛ دفعت مائة دولار وانطلقنا على أن أدفع المائة المتبقية بمجرد وصولي، كان أحدهما يكبرني بما يزيد على عشرة أعوام أما الآخر فكان يصغرني بقليل.

انطلقت الرحلة في العاشرة مساءً من الفندق إلى حمص ثم حلب حتى وصلنا إلى طريق جبلي، تساقطت الثلوج؛ احتمينا بحديقة تحيط ببيت فخم.

أمرَنا المهرب بعدم الخروج حتى نسمع كلمة السر "ليلة العمر"، فالتزمنا بما قال.

كنت حاضر الذهن، بينما غلبهما النعاس، أترقب سماع كلمة السر، تخوفت ربما لن يرجع: أنا غبي؛ دفعت مائة دولار لمهرب، لمن نشكي لو غدر بنا؟ ومَن المصري الذي رد على الهاتف؟ ربما يعمل لصالح تلك العصابة، لن أسمع كلمة السر مجددًا!

لم أصدق أذناي عندما سمعتها؛ ها قد عاد لكنه طلب المائة دولار الأخرى؛ أقسمت أن أدفع عند الوصول، أما الآخران رفضا الدفع وطلبا منه الالتزام بكلمته؛ لأن الاتفاق كان واضحًا من البداية.

سرنا معًا قرابة الساعة حتى قال: "إننا الآن قرب الحدود، ابقوا في هذه الحديقة، ممنوع الخروج إلا بعد سماع كلمة السر".

مرت الساعات بطيئة حتى سمعنا المنادي : "الصلاة خير من النوم!"

أشرقت الدنيا على كابوس؛ لم يعد المهرب، ولم تكن "ليلة العمر"، توجهنا تلقاء المنازل، ساعدَنا الأهالي على العودة.

قبل أن ألتقط أنفاسي أو أدرك حقيقة ما جرى أو أستحم من غبار الطريق الذي أتجرع مرارته في حلقي مختلطًا بما لاقيت من ضياع، دخل رجل أنيق الملبس، هادىء الخطوة متوسط القامة حليق الشارب واللحية، يسأل بصوت حذر عن مصري يبحث عنه في كل مكان، يدعى فتحي. خفض موظف الاستقبال في كدر صوت أغنية جورج وسوف «كلام الناس»، كرر الرجل سؤاله بصوت مسموع، قلت في نفسي: يمكن من طرف المهرب ويرجع فلوسي، فأقبلت عليه مندفعًا: "أنا فتحي".

على الفور، داهمت قوات الشرطة الفندق، تم اقتيادي إلى جهة أمنية لا أعلمها، ربما في أمن الدولة أو المخابرات السورية حيث قُيدت حريتي.

أتذكر لحظة دخولي المعتقل، تلك اللقطة المحفورة في ذهني أرى فيها سماء كئيبة باللون الرمادي، مع شجيرات خالية من الأوراق تمامًا، ويظهر من بعيد شكل المبنى في لقطات سريعة جدًا ومتقطعة.

أُلقي بي في حجرة تعج بالمقبوض عليهم بتهمة الهجرة غير الشرعية عبر وسيطيْن مصرييْن اسمهما فتحي عبد البر وفتحي أبوالمجد من المحلة، لم يفلحا سوى في تهريب واحد فقط تمكن من الهرب برغم إصابته بطلق ناري في كتفه!

أدركت سبب ضبطي؛ يتهمني رجال الشرطة بالعمل مع عصابات التهريب؟!

بعد أقل من ساعة، تم ضبط الأول؛ شعرت بسعادة غامرة، لكني دعوت أن يُضبط الآخر.

في صباح اليوم التالي تم ضبطه، لكن أمرًا غريبًا حدث: مر شهر بعد ترحيلنا إلى دمشق دون توجيه اتهام إلينا، قضيت الليل في البكاء والنهار أتفكر في الويل الذي لم يخطر ببالي!

تلاحقني لقطات للسجن، له سقف من حديد مغطى بأسلاك، ملحق بنفق كبير على جانبيه زنازين لا أعرف لها نهاية، لا تتسع الزنزانة إلا لسجين واحد، ومع ذلك تم احتجاز ثلاثة في كل واحدة، أما الزنزانة الكبرى فكان النظام فيها يبتسم للأقدم، فيحق له الاستناد إلى الجدار لكن المستجد ينام أسفل أقدام الآخرين على جانبه دون أن يريح ظهره، ننام في أحضان بعضنا تلتف ساق أحدنا على جسد الآخر!!

أقيم الحمام خلف جدار في نفس الزنزانة، به دلو مملوء بالماء، بلا باب؛ أقضي حاجتي أمام النائمين بجواره!

ضرب القمل المكان، كنت أعاني بشدة؛ لم أمر بمثل تلك الأيام في حياتي: النوم والاستيقاظ بالأمر، الفطور أذان الفجر، والنوم العاشرة مساء أما الاستحمام يستغرق دقيقة، أخرج بعد سماع الصافرة، والجَلد عقابي إن لم أفعل.

في أول يوم من الشهر الثاني، بعد معاناة تم استجوابي، سماع صوت الضرب والصراخ المنبعث من الزنازين الأخرى كان مرعبًا.

أشعر بدوار، وبعد نظرات متعددة وسريعة ومتقاطعة تتوقف عيني أمام فتحة صغيرة عليها قضبان حديدية تتوسط الشرفة الرمادية بلونها الداكن على يسار غرفة التحقيق، ثم تدور كي تكون في مواجهة الضابط الجالس على كرسي ومن خلفه يظهر باب الغرفة مغلقًا. ينفث دخان سيجارته في ضيق مع حركة متغيرة لصدري يعلو ويهبط، تخرج زفراتي مغمومة متسارعة، تتلاشى أدخنة السيجارة الكثيفة وهو يستمع إلى أقوالي مثلما فعل مع الآخرين، قلت: "أتيت لشراء ملابس أعود بعدها إلى الأردن".

تم إعادة استجوابي بعد عشرة أيام، توقعت أن يتم إطلاق سراحي، حتى أبوجعفر، المهرب السوري، قال: "دخيل الله اهدى شوي، بلا حكي فاضي، بتاخد إخلاء سبيل، أنت ما إلك علاقة بالتهريب".

تجاهل الضابط ما سمع من أقوال ظنًّا منه أن فتحي ربما يكون اسم حركي لكل أفراد التشكيل العصابي وربما أعترف بعد قليل من الضغط النفسي أو الإيذاء الجسدي!

منتصف ليل الثلاثاء، تم عرضنا في طابور أمام المقبوض عليهم الذين تعرفوا إلى المجرميْن بينما أنكروا أي معرفة بي.

في اليوم الأخير من الشهر الثاني، تم اقتيادي معصوب العينين لغرفة التحقيق، ووضعي على كرسي حديدي، بوضعية غير مريحة؛ ربط أحدهم ساقاي في سلاسل وشد ظهري وعنقي للخلف، وجلست في وضع القرفصاء، لكنهم لم يجلدوني كما حدث مع من ثبتت إدانتهم.

كررت نفس الأقوال: "لشراء ملابس من سوريا"؛ ضربني بركبته اليُمنى في وجهي: "اخرس يا كلب .. يا عرصه .. يا أخو السافلة ...!"

كاد الصراخ المرعب الذي يغلف أجواء المكان يهزمني نفسيًّا، حاول الضابط إجباري على الاعتراف حتى يتم ترحيلي إلى مصر لكني بقيت متماسكًا حتى النهاية؛ فك وثاقي من الكرسي الحديدي، وسمح لي بالجلوس.

لم أستطع النهوض؛ فزحفت على كتفي وصدري حتى وصلت إلى الكرسي. بعد عشر دقائق، بصعوبة كبيرة وبطء شديد نظرت إلى الضابط وعلامات الدهشة لا تفارق وجهي، تمكنت من النهوض، لكنها المرة الأولى التي تنتصب قامتي ذليلًا؛ لم تجف دموعي لدرجة أني كرهت السفر، تمنيت لو لم أخرج من داري، وصلت إلى قرار: "لو الجنة في لبنان ممنوع التفكير فيها مرة ثانية".

تملكتني الدهشة أحدث نفسي: "تفتخر كل دولة بالسيطرة الكاملة على شريطها الحدودي مع جارتها؛ لمنع عمليات التسلل

الإرهابي والتهريب! متى أنتقل بين كل دول العالم دون قيود؟ إلى متى يظل السفر إلى دولة مجاورة -نتشارك معها في اللغة والتاريـخ بل في كل شيء- اتهامًا؟! ماذا يحدث إن حاولت السفر إلى أمريكا إذًا؟"

يحاصرني طيف ابنة الجيران المتأنقة المعطرة بوجهها الجميل البيضاوي المشرق وجسدها الفاتن وشعرها الكستنائي وعينيها العسليتين بأهدابها الطويلة وبشرتها البيضاء، أرى وجهها بوضوح ويلاحق خيالها ذكرياتي؛ فأرتعد في غبطة. كلما طاردتني هذه الأيام كالحطام المتناثر أمامي تجذبني بشدة لأتماسك بعدما أدركت أني أحببتها بضراوة لدرجة أن حبها ترك في حياتي جرحًا مقروحًا، فلا عجب أن وجدت نفسي أتساءل: "إن عاد بي الزمن، هل أركب يومًا نفس الأتوبيس المنطلق من عمان باتجاه دمشق في رحلة جديدة إلى نهر الموت من أجلها؟!"

بعد عشرة أيام، في اليوم السبعين، تكرر النداء الذي حفظه كل من في السجن: "تلاته فتحي وواحد أبو جعفر"، أما هذه المرة تغير النداء : "فتحي المنجد، براءة!"

لا أحمل أية أموال بعد اختفاء المهرب، يعلم الضابط حقيقة وضعي، قال: "فتحي، مبروك البراءة.

أنا رحمتك وتعاملت معك بطيبة لكن لو رجعت!

وأشار بإصبعه السبابة مهددًا،ثم أكمل، تخرج ترجع على الأردن وإياك تلتفت" .

خرجت في الثالثة عصرًا، كانت السماء ملبدة بالغيوم، أتضور جوعًا، بطريقة ما عدت، استقبلني أبو شاكر، صاحب فندق أفاميا، بترحاب ودفع أجرة التاكسي. سمعت في بهو الفندق بترتيب رحلة الليلة إلى لبنان، غلبني الضحك متذكرًا ما مر بي على مدار سبعين يومًا حتى ملأت الدموع عيني، تذكرت حينئذ أمي تطعمني اللحم الشهي في فمي، ناديت بوجع وفمي مليء بالمرارة: "آه، الذل في بُعدي عنك يا أمي، محتاج لحضنك قوي".

صارحت أبو شاكر بما وقع لي، انزعج للغاية غير أنه شجعني على السفر مع مهرب سوري موثوق به يقبل وساطته على أن أدفع مائتي دولار في نهر الموت.

تفكرت في الأمر متذكرًا تهديد ضابط المخابرات السورية بالعذاب الأليم الذي ينتظرني إن رآني للمرة الثانية!

تكررت كل المشاهد واللقطات المرعبة في ذهني، التفتُّ إلى أبي شاكر بصوت مليء بالحسرة قلت مهددًا: "لو الشرطة قبضوا علينا، أنت المسئول وزعيم عصابة التهريب، ساعتها تكون وراء الشمس!"

تبسم ضاحكًا من قولي، فاجأني عندما وافق، فعقدت العزم على السفر!

وقفت ساهمًا، أفكر فيما حدث، وأسبح في فضاء حجرة الاستقبال شديدة الإضاءة برغم أنها تبدو في عيني كالقبو المعتم، أناجي نفسي في حيرة: "لن أخسر شيئًا؛ لا أملك أي نقود، لو رجعت

إلى الأردن سوف أعمل بثمن بخس، ولو عدت إلى مصر فالحال أسوأ؛ إذًا لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. بعد مغرب اليوم الأول من خروجي من المعتقل السوري، ومع كل ما رأيت من صنوف العذاب الجسدي والألم النفسي، أنطلق عائدًا في هجرة غير شرعية إلى لبنان! هل أطوي الصفحات المؤلمة لأبدأ صفحة مليئة بالبهجة أم أن كتابي لا يحمل سوى الخيبات؟!"

انطلق المهرب السوري بسيارته، تبعه الأتوبيس بنا حتى حمص ثم ركبنا سيارة أخرى إلى طرطوس. في الطريق، رويت قصة السبعين يومًا في المعتقل السوري للمصريَيْن الآخرَيْن، فقُذف في قلوبهم الرعب؛ دُهشا من المجازفة والمخاطرة بعد هول ما رأيت، لم يستغربا ردي: "لو الشرطة قبضوا علينا، أفضل يفرغوا رصاصات سلاحهم في قلبي على الرجوع للمعتقل".

نزلنا من السيارة، لكن هذا السوري لم يطلب منا المئة دولار الأخرى كما فعل السابق، مررنا بوديان وجبال، أرتجف من الخوف برغم برودة الجو لكن الرعب من دوريات الشرطة كان سيد الموقف، داهمنا صوت يأمرنا بالتوقف!

توجه المهرب السوري نحوه، أما أنا فقد سلمت قدماي للريح، اختبأت تحت شجرة وبالمثل فعل زميلاي. عاد المهرب الذي قال إننا جميعًا سوريون نجلب السجائر المستوردة من بيروت، ووعد بترضيته بعد العودة.

مشى معنا لمدة ساعة حتى لمح دورية خيَّالة مسلحة تابعة لقوات حرس الحدود.

جلسنا بلا حراك أسفل أشجار التين تتدلى أوراقها على الأرض، اتفق معنا في همس على كلمة سر "ورد بلدي" لنجتمع بعد سماعها من جديد، مر رجال الشرطة تدوس حوافر خيولهم أمامنا، نظرتُ إلى أقدامهم وهم على رؤوسنا، فقلت في نفسي: "لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا".

بعد دقائق من الترقب، نادى السوري بكلمة السر التي أعادتنا إلى الحياة، وصلنا إلى الحدود اللبنانية منتصف الليل، تلقينا تعليمات صارمة حتى تمر الليلة بسلام: "ممنوع فتح أي شباك، أو الخروج لأي سبب".

تخوفت أن نلدغ للمرة الثانية ويذهب هذا المهرب دون أن يرجع كسابقه، لم يهدأ قلبي حتى قرأت كلمة لبنان على لوحة معدنية لسيارة متروكة بجوار المبنى.

دلفنا إلى البيت، قلَّ الخوف وهدأ اضطراب أعصابي الثائرة غير أن القلق ما زال يمارس هوايته معي في عدم إكمال سعادتي، خلدت إلى النوم المؤرق بالفزع برغم شعوري بالجوع الشديد.

في مساء اليوم التالي، تم تسليمنا إلى مهرب لبناني نقلنا إلى بيت آخر، أكثر اتساعًا كأنه نزل فندقي، يضج براغبي السفر عبر الحدود من مختلف الجنسيات. التقيت بأناس من تونس والجزائر والمغرب والسودان و اليمن ... تجمعهم نفس الرغبة في الهرب من

جحيم الفقر، حينئذ طلب اللبناني قيمة الرحلة، رفض المغاربة الدفع قبل الوصول، فتركهم واصطحب من دفع فقط. توسلت إليه أن يدفع أخي قيمة المبلغ -مزيدًا عليه إن أراد- بعد الوصول، فوافق على استثنائي.

انطلقنا في مجموعة كبيرة، لكن اللافت للنظر هو سفر شيخ مصري من محافظة الفيوم أشيب الشعر واللحية يقف على حافة الحياة يُدعى عبد التواب حماد! سألته متعجبًا، قال: "يرفض ولدي الوحيد العودة بعد أن فتنته الدنيا والأموال، وتتمنى أمه رؤيته قبل موتها!"

مشينا في جبال ووديان وأحراش، برغم تمتع الشباب بالصحة لكن هذا الشيخ كان أسبقهم وأكثرهم همة!

أدهشني حين رفع بصره إلى السماء قائلًا: "أيُفعل هذا بي وأنا رجل مسن مريض؟ هل هذا رد الجميل يا ولدي؟ متى تصير كل دول العالم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد؟ متى أرى لافتة "هنا تنتهي الحدود المصرية" وفي خلفيتها "مرحبًا بكم في الحدود الليبية" ولا تفصل بين الجارتين سوى لافتة أو علامة؟"

استند على كتفي الأيسر بيده اليمنى ثم نظر إليَّ بإمعان متحدثًا بألم: "مهما دخلت أفخم الأماكن، وجربت النجاح والفشل، والغنى والفقر، والتجربة والسفر، لا تنس أن وجودك موصول بأبيك وأمك، سبب وجودك في الحياة، بعيدًا عنك حياتهما لا قيمة لها،

ومعنى السعادة في لحظات رؤيتهما لك. لو وقف الأسد في مكانه، لن تأتيه الظباء طوعًا؛ لذا سافر واغتنم كل فرصة ممكنة لكن احذر أن تأخذك الغربة كما خدعت ولدي، فينقلب حلمك إلى كابوس يكاد يقتل من لم يحلم بشيء سوى أن يحملك رضيعًا بين يديه".

وصلنا إلى نقطة محددة، ركبنا سيارة وتم التنبيه علينا إن قابلتنا دورية شرطة أن نقول: "نتجه نحو السكن بعد فراغنا من العمل في مزرعة مجاورة".

وصلنا إلى مكان آخر كما هو مخطط، قمنا بتغيير ملابسنا، لتبدأ عملية التوزيع. جالت بخاطري المخاوف، ربما يتم التخلص منا بأي طريقة أو يتم إنزالي من السيارة!

أحضر المهرب الطعام، لا أعرف لماذا امتنعت عن تناوله برغم شدة شعوري بالجوع!

حدث ما كنت أخشاه، طلب مني النزول من السيارة بسبب مرورنا بنقطة تفتيش، رفضت، أوضح أن الضابط لا يحق له تفتيش المارة المترجلين؛ نزلت. تكرر الأمر ثلاث مرات حتى وصلنا.

أسعد لحظة في حياتي حين قال: "أقرب مكان هو نهر الموت".

قلت: "مصنع كرم للإسفنج".

وصلت السيارة إلى المنطقة، سألنا عن اسم المصنع، لصدمة الجميع، عرفنا أنه احترق قبل أسبوع!

أصابني الذعر، هدأ المهرب من روعي حتى وصلنا إلى باب المصنع، وجدنا عمالًا ينظفون آثار الحريق، سألت عن يوسف، قال أحدهم: "مات!"

لم تقدر قدمي على حملي، شعرت أن ركبتي اليسرى ترتطم بالأرض، ثم قال: "يوسف ميشال عون مات من أسبوع".

سألته: يوسف حسن، اسمه يوسف حسن سلام، مصري من كفر الشيخ".

أومأ برأسه: "المصري، بسبع أرواح مثل القطط، ما صار له شي".

هدأت وحاولت النهوض، جاء مسرعًا، فاحتضنته وقبّلته: "يوسف، يوسف، يوسف!"

عادت إليَّ روحي، لم أشعر بنفسي سوى عندما تحدث المهرب اللبناني يتعجل المغادرة، أخذ يوسف جواز سفري وأعطاه مائتي دولار، ثم تواصل هاتفيًا بأخي الذي جاء على جناحي نسر.

حاول أخي أنور التواصل مع والدتي لكن الاتصالات كانت سيئة للغاية، وبخاصة في هذا الوقت من العام. في ظهر اليوم التالي، لم تصدق أنها تحدثني حتى ذكَّرتها بالدفء الذي يغمرني حين تضع الطعام في فمي؛ وكانت ذات مزاج متشائم؛ فأجهشت بالبكاء، تتحسر على حرمانها من كل أبنائها، ثلاثة في العراق واثنان في لبنان، والزوج بالسعودية، قائلة: "يعني أموت من الوحدة؟ السفر حرمني من كل أحبابي!"

عدت بعد ثلاث سنوات من العمل المتواصل، لم أتذوق خلالها طعم الغربة، أتحرك في شوارع لبنان بلا خوف، أمضي أطيب الأوقات في لعب كرة القدم، وأذهب إلى الشاطىء يوم الأحد، لا أترقب سوى الحصول على الإقامة.

سني مصري يعمل لدى مسيحي لبناني مع ثلاثة: شيعي يمني و عَلوي سوري و دُرزي لبناني، لم نختلف يومًا أو يسأل أحدنا عن شيء لم يبدأ الآخر الحديث فيه، لم أتجادل معهم؛ إذ سعيت من أول يوم لكسب قبولهم ولم أخسره، ولو أقمنا معًا لعقود بعد ذلك ما وقع بيننا أي خلاف يورث الخصومة على الرغم من الضيق في بعض الأحيان بسبب التفاوت في الأجر بيننا.

أذكر ليلة الاحتفال بعيد ميلاد صاحب العمل مع بناته وزوجته، أشرب العصير دون أن يجبرني أحد على تناول الويسكي، تتراقص بناته فأرى ما يجعل جسدي يستعر من لظى الحركات المتمايلة التي أيقظت الرجل الكامن في جسدي، ولست آسفا على انصرافي مبكرًا أكثر من أسفي على تعلقي الشديد بابنته الكبرى، تحججت بالذهاب لقضاء حاجتي، كنت أنوي تقبيلها لكن في الوقت الذي أوشكت على معانقتها والاعتراف بحبها ارتبكت متذكرًا ابنة الجيران في مصر فغادرت المكان على الفور.

قبل عودتي ببضعة أسابيع دُعيت إلى سهرة، انقبض قلبي لحظة دخولي ذلك البيت المفعم بكل ألوان التحرر، فعدت ألوم نفسي وفي سجودي بكيت مترددًا بين البقاء والعودة.

قررت الرحيل إلى بلدي محتفظًا بمحبة كل من عاشرتهم.

مر أسبوع مع أمي، تلقيت اتصالًا من أنور: "يا خسارة، كان لا بد تصبر يا أخي، كل عمال المصنع في سابع سما؛ أخيرًا بعد طول انتظار وزارة الداخلية فتحت الإقامات".

لم أحزن سوى على ألمي من شوقي الشديد إلى رفاق الغربة، لكني حزنت أيضًا لوفاة الشيخ عبد التواب قبل بضعة أسابيع، أذكر ملامحه ليلة هروبنا معًا بوضوح، أسترجع صورته في بصيرتي، أذكر كم كنت أحبه. حضور ولده حفل زواجي، بصحبة والدته وزوجته الحسناء اللبنانية، أسعدني كثيرًا، وزادت فرحتي أضعافًا عندما علمت مدى ابتهاجه في آخر عمره بإعادة ولده، ورؤية حفيده الصغير الذي يشبهه كثيرًا، ببشرته الناعمة البيضاء، ورموشه الطويلة، وضحكته الجميلة التي تظهر منها أسنانه الصغيرة.

حملت الطفل ثم قبلته معترفًا: "عدت أنشد من زواجي الدفء العائلي التقليدي بعدما أخذت من الغربة ما يكفيني، ومهما حدث لن أشهد أبدًا طيلة عمري أهوالًا تشبه تلك التي صادفتني بصحبة جدك في طريق الهجرة إلى لبنان".

في صباح اليوم التالي لزواجي، تلقيت اتصالًا انتظرته من أنور على أحر من الجمر.

لدهشتي، بدلًا من سماع صوت أخي، أجاب يوسف بصوت متحشرج يخرج بصعوبة: "أثناء استقبال ثلاثة من المتسللين، أشقاء زملائه بمصنع الإسفنج، أحدهم جزائري والثاني فلسطيني

والثالث سوداني، نجا طفل عمره خمس سنوات كان بصحبة والده الفلسطيني، بينما مات أنور برصاصة في رقبته من الخلف، ولقي المهرب والمتسللين مصرعهم قرب الشريط الحدودي قبل وصولهم إلى نهر الموت!

*****

يا ليتني

باغت الأب الموت، تاركًا وراءه ثلاثة أبناء يديرون التجارة التي أسسها قبل عقود، وعاشت الأم في شقتها بالدور الأرضي في البناية التي أقامها، رافضة الإقامة مع أحدهم برغم حبهم لها.

عاش الأبناء في تماسك ونجاح، ولم يتوقفوا عن مواصلة أعمال الخير التي اعتاد والدهم عليها؛ فأكملوا قصة الكفاح.

بعد رفيق دربها، جلست وحيدة تتفكر في حالها، غير أنها أصرت على الاستمرار في شقتها مصغية لإذاعة القرآن الكريم تفتح ذراعيها لمن يمر عليها.

تملكتها الحيرة، وبخاصة أنها أصبحت في حاجة إلى من يرعاها، وأخذت تتحسر من الحرمان من أحب النعم إلى قلبها؛ إذ كانت تحلم أن تنجب بنتًا.

مكثتْ مع زوجات أبنائها، وأخذت تعيد الكلام، وتنطق بصعوبة، ولا تُحكم يدها المرتعشة السيطرة على ملعقة الطعام.

فوجئت زوجة ابنها الأكبر بوجود آثار تبول في موضع نومها! وبرغم أنها لم تنطق بأي لفظ جارح، إلا أنها هرعت إلى الهاتف!

سمعت الأم ما دار في المكالمة، وفكرت بقليل من الضيق وبدأ كل شيء بالدوران، جرحت الكلمات قلبها كشظية الزجاج غير أنها أسرّتها في نفسها ولم تبدها لهم، وتكرر بكل ألم ما حدث مرة ثانية

خلال إقامتها مع زوجة ابنها الأوسط!

انتقلت للإقامة مع آخر العنقود، وتكررت المأساة، غير أن زوجته أزالت المُلاءَة في صمت، وطلبت منها في هدوء أن تستعد لأخذ حمام دافىء، وأقسمت عليها ألا تتردد في طلبها، وقالت:

-«كنا صغارًا لا نجيد التصرف، ولا نتحكم في أنفسنا، نكرر الكلام مرارًا، كم أسعدكم تحملنا!

كلما توجهت إلى المدرسة، أسعدتني ملاحقة عيني أمي من خلف الستائر تارة ومن الشرفات تارات أخرى، وعندما رزقت بالأبناء عرفت حقيقة الأشياء».

طلبت منها إعداد مائدة لكل أفراد العائلة في شقتها بالدور الأرضي.

انزوت الأم وحيدة في حجرتها المظلمة لبضع ساعات، ثم خرجت عليهم وقد انحنت إلى الأمام، وقد تم إعداد الطعام على أكمل وجه، وبينما هم يتحلَّقون حول منضدة الطعام يتملكهم العجب من تلك الدعوة غير المبررة، والكل ينظر في دهشة، والصمت الصارخ يغلف الجو!

قطعت كلماتها صمت الحجرة، التي لم يُسمع فيها سوى صوت تكات عقارب الساعة، استدارت فجأة وسرت قشعريرة خفيفة في رأسها، فقد حان الوقت أن تتكلم، وقالت بصوت ملؤه الحزن :

-«برغم قدرتي على تحمل نفقة ممرضة ترعاني إلا أنني

سأخبركم بتفسير ما أنكرتم عليَّ من فعل، وما في نفسي من حاجة، وما يئول إليه أمري: سكبت على الأسِرَّة بعضًا من المياه النقية!

أحبكم أبنائي بنفس القدر، وأقسم عليكم أن تتركوا لي حرية اختيار المكان الذي أقيم فيه حتى يحين أجلي؛ أريد من تستُرني عند موتي؛ لذا سأقيم مع "عُلا"!

قبل دقائق، تواصلتُ هاتفيًّا مع دار الإفتاء لاستطلاع رأيهم الشرعي في أن أهَبها مما ورثت من مال برغم أنه لا يساوي ما تستحقه!»

وقفت الحاجة فاطمة والدموع تبلل وجنتيها، وقد تملك الجميع الذهول، والصمت قد ساد المكان إلا من صوت ضجيج نبضاتهم الخفَّاقة، وصرخاتهم المكتومة، ولسان حالهم يقول:

-«آه لو عادت عقارب الساعة إلى الوراء!»

*****

حب في الهواء

سافرتُ يومًا في طائرة، مع امرأة حائرة، روحها ثائرة، و ألجأتنا صحبة السفر، إلى الفضفضة والسمر، وأُجبرتُ على الاستماع، إلى كل الهموم والأوجاع، أضحك و أنفعل، ويهدأ بالي ويشتعل، وكان يتضاعف على قلبي الهم، كلما أسهبَت في وصف ما عانته في زواجها من غم، و قُبالتي رجل نحيف طويل، لم يتوقف عن غناء المواويل، ويرتسم على وجهه فرح الناجحين، وتفوح من جسده رائحة الرياحين، وكان يدندن في طنين، بينما المرأة لم تكف عن الأنين.

غلبني فجأة نعاس، وأثقل النوم الرأس؛ فإذا بالمرأة صارت شديدة الغضب، كأنها لم تسمع عن شيءٍ اسمه الأدب، ودلني ما أنا عليه من الفهم، أنني مقبل على سب وشتم؛ فمن وجهها يتطاير الشرر، وتنظر إليَّ في غيظ قد ظهر، وقالت في حنق: «من أنت يا بطل؟! قد مات والله من تحشَّم واعتدل، يا شبيه الرجال، وعقل الأطفال، يا عديم الملامح، والمجرم الجانح، لو كنت أملًا لانقطع، ولو كنت طعامًا ما اشتهاك أحد ولا شبع، ولو كنت طيرًا ما طار شبرًا واحدًا ولا ارتفع، ولو اقتربت من غني لأفلس وافتقر، ولو اقتربت من طموح ليئس وانتحر!»

على الفور أجبتها: «سبحان من جعلكن أصنافًا وألوانا؛ ففي دقيقة صرتِ في حال غير ما كانا، ولو أني أعرف ما يغضبك،

لجعلتك أهدأ بالًا وأعذب لسانا، هل صدر مني ما يدعو إلى الضيق؟! أم أنك في السفر أسوأ رفيق؟! أم جلستُ بجوار امرأة لسانها صفيق؟!»

و تراشقنا في سب وشتم، والكل من حولنا ذاهلٌ دون فهم، وتبادلنا الإساءة، حتى أتت المضيفة في براءة، فاعتذرنا ومرت الدقائق، وأخذت تسرد الحقائق، وهي تأكل النقانق؛ فهدَّأتُ من غضبها، بعدما تفهمتُ -بسبب الطلاق- اضطرابها، وحينئذ هبطت الطائرة في سلام، واتفقت معها على استكمال الكلام.

تفتَّتت الصخور، وفار التنور، وأخذ الحب يتدفق في قلبي نهور؛ فطلبتُ يدَها وأنا في السعادة مغمور، وحزمتُ أخيرًا أمر "طاهرة" -رفيقة الطائرة- في فرح وسرور؛ لأن المحبة قد تأتي بعد عداوة كما يحكي المثل ويدور.

*****

السكر المر

أوينا إلى مطعم، قريب من محطة القطار؛ لنتناول الغداء، بعد أن لقينا من سفرنا العناء، وسألتُها عن سبب عبوس وجهها الرقيق، طوال الطريق، فقالت:

-«كم أكتوي بنار تلك المشقة، برغم ما أمتلك من رقة؛ فمن الموجع جدًا أن أتخذ قراري بالمرور خفافًا؛ كي لا أثقل كاهل مَن في قلبه أطمع، غير أنه لا يكترث لي مثلما أراه في قلبي يقبع!

ربما لم يعلم بوجود قانون للجاذبية مفاده أن لكل فعل ردة فعل تساويه في المقدار وتخالفه في المسار؛ فيبدو كتمثال من الحجر؛ لا يصدر أيّ ردة فعل، مع الأسف والاعتذار!»

حاولت طمأنتها قائلًا:

-«بإمكاني البحث عن حلول لهذه المشكلات التي تعيق التواصل بينكما، وإذا لم يحدث هذا، فلمن تتحدثين إذًا؟»

-«بالفعل كنت أبحث عن شخص لأتحدث معه».

-«لهذا جئتُ، هل أنا لا أصلح؟ من اللازم أن نبحث عن شخص نصارحه بما فينا، أخبريني بما دار بينكما مؤخرًا».

-«أستيقظ من نومي يغمرني الفزع، في ساعة متأخرة من الليل؛ لأسمع شرحًا تفصيليًا عبر الهاتف؟! يعطي تقريرًا، كعادته، عما

صادفه في عمله اليوميّ من مكدرات، ثم يُتبعه بكلام -لا نهاية له- يصف ما وقع خلال الأربع وعشرين ساعة المنقضية !

أتألم كثيرًا، ويضيق صدري؛ أنا تلك المرأة التي تحب معرفة المختصر المفيد، دون أدنى فضول أو رغبة في معرفة التفاصيل !

أنهض من فراشي، فأقرأ في دقائق عناوين الأخبار، بعد أن أجبرني السكري على أمور غريبة، في أوقات أكثر غرابة، أصطحب هاتفي المحمول إلى المرحاض، ثم أخرج إلى الشرفة؛ لأحاول الاستمتاع بنقاء الجو بعد يوم عاصف، وأسمعه يشكو من فتح باب الشرفة في ذلك الوقت، في غير مبالاة بشعوره بالبرد!

لا أكترث لكلامه؛ هو دومًا يتوسل، ويرفض، و يطلب، و يشكو حتى أنفذ ما يدفعني إليه دون مناقشة، غير أنني لا أقوى على استدعاء النوم بسهولة؛ أتفكر في حالي، وكذا لرغبتي الملحة المستمرة المتجددة في التغيير.

وأتساءل في حيرة : "هل هذا هو السكن الذي تطلعت إليه طيلة حياتي؟!"

أحاول الهروب، من الواقع المرير، إلى النوم مجددًا، لكن هيهات!

أتفكر في المصير، إن حاولتُ تصحيح المسار، فعدم القيام بثورة تصحيح يعني استمرار هذا الوضع الذي ينذر بكارثة، ومع ذلك، أحاول أن أقبض على الجمر!

معه تنعدم القوانين وتتلاشى الجاذبية، وبرغم ذلك أتشبث بحبه في محاولة للفت انتباهِه في كل مناسبة، غير أنني أثور على نفسي؛ لشعوري المتجدد بالغضب غير المبرر تُجاهه؛ فلا أنا تمكنت من تحقيق السعادة بالاستقرار في قلبه، ولا أحسنت التجاهل والبقاء بقربه، وبدلًا من أن ينتبه إليَّ، ينتبه كل المحيطين بي؛ فوجدت نفسي فجأة وقد صرت أضحوكة مثيرة للسخرية؛ لذا فعندما تجاهل "قابيل" وجودي عمدًا، أجبرتُ قلبي على عدم الانشغال به حتى لا أهين مشاعري مجددًا»

جلستُ أتأمل ما روته شقيقتي عن حياتها؛ فتعجبت كيف يختار كل منَّا طريقه ! يتجاهل أحدنا حبيبه بينما لا يريد آخر سوى أن يرتمي في أحضانه، بل ويموت ممسكًا بيده!

نبحث في غابات كل روح عن «غاية وجودنا»؛ لنحيا في تناقضات محيّرة، نؤمن بالشيء ونقيضه، وبعد مئات الأخطاء وآلاف التجارب ندرك أننا لم نتعلم الدرس بعد؛ وهكذا نتعثر في كل منعطف.

في تلك الحياة، ننسى مشاعر الآخرين؛ فنفقد ما هو أغلى من أي كنز حين نعقّد الحب برغم روعة بساطته، ونخون الأحلام بحجة أنها لن تتحقق.

نحن «نعرف كيف» نحب لكننا لا نملك القدرة على أن نغفر، نستبق إصدار الأحكام على غيرنا دون أدنى رغبة في تقدير حجم المعاناة التي مروا بها، وندين الآخرين على خطايانا ونخفي أرواحنا

في مكان ما في الهاوية.

من الصعب علينا أن نحب غير أنه من السهل جدًا أن نكره، ومن المثير للاهتمام أن نطل من نافذة شخص آخر لكننا نخشى أن ننظر داخل أنفسنا، فنقول إننا صادقون، ومع ذلك نخدع غيرنا ونقع في شرَك المخادعين مجددًا!

إنه لأمر مؤسف أن يحكم كل منا على الآخرين فقط، ثم نتغافل عن حقيقة نواقصنا كأننا قد انتصرنا بإخفائها عن أنفسنا وعن الجميع لكن الحقيقة الدامغة هي أنها سوف تنكشف عاجلًا أو آجلًا.

بعد دقائق، وصلت إلى حقيقة أنكرتها كثيرًا:

-«هأنذا أعيش وحيدًا في تلك الحياة البائسة، والدرس الوحيد الذي تعلمته، هو أنني أكبر عدو لنفسي، هو أنني أيضًا ضحية مثل "علية"، وما يعنيني هو أنني وددت لو لم أسمع كلماتها حتى لا أحترق بنار ذكريات تجربتي التي تشعل جذوة الألم في قلبي»

*****

الدوامة

في وقت متأخر من الليل، أضاء الشموع، وشرع يرتب نفسه للنوم، وسواء أكان الوقت صباحًا أم مساء، فإن الأمر لا يختلف كثيرًا؛ كان هناك دومًا ذلك الضيق الذي لا يفارقه لحظة؛ لأن الحياة بالنسبة له ليست أكثر من مجرد مكان خانق برغم أنها لم تصل به إلى الدرجة التي تجعله ينهيها بنفسه.

كان دائمًا ذلك الشعور الذي يتجدد مع كل عمل يشارك فيه، الواقع الوحيد، والكذبة الكبيرة التي يعيشها كل يوم: يمثل دوره ببراعة دون أن تحقق الأعمال التي يشارك فيها الإيرادات المنشودة برغم جلسات النقاش والعمل المستمر حتى يخرج العمل إلى النور !

أخذ يتأمل ضوء الشموع المنعكس على المرآة وتفكّر في أمره، وببطء شديد تذكّر كل ما مر به، دقّق النظر في ملامح وجهه، تأمل بياض بشرته، و وجنتيه المدورتين، ونضارة جسده وعنقه، ولمعان شعره، وبريق عينه الممتلئة بالطموح برغم أنه مترف منذ الصغر.

ضاق صدره عندما رأى على جدار غرفته صورة المخرجة؛ إذ كانت، في الواقع، شخصية ذكية، مناوِرة، بلغت من العمر ما يمنحها الخبرة في الحكم على الأشخاص.

امتزجت مشاعره بين الأمل الذي يطارد نفسه، وعاصفة اليأس التي تجتاح كِيانه، حتى وإن أشاد قليل من النقاد به.

مرت ساعةٌ، سمع صوت رنين هاتفه المحمول. لعله منتج يطلبه لعمل جديد؟

ارتفع صوت المخرجة قليلًا، وقالت:

-«نجمنا الشاب، لمَ تشعر بالسخط؟ هل يبتهج قلبك بعد قراءة عبارات المديح فقط؟!»

المخرجة تعلم جيدًا أنه يريد أن يصرخ لكنه لا يستطيع. سمعت زفراته المليئة بالنفور والرفض فقالت:

-«الناقد الحقيقي هو من سيكتب عنك الجمعة المقبلة!»

تردد في الرد عليها، ثم تخلى عن نبرة صوته اليائسة، وأخذ يتبادل معها الآراء، وقد هدَأت ثائرته عندما قالت:

-«إنه يكرر نفس الكلام حين يوجه سهام نقده لأي فنان كبير».

في صباح اليوم التالي، التقى بها مبتهجًا، والأمر اللافت: حضر الناقد الذي كال عبارات التقريع بحقه، غير أنها قبّلته، وشرعت على الفور في قولها إنها تقدّر رأيه منذ زمن بعيد، وأن سوء تفاهم قد حدث!

فحص ملامح وجهها، وأخذ يلومها في داخله متعجبًا:

-«برغم أن بعض أعمالها ضمن أفضل مائة عمل في تاريخ

السينما بالإضافة إلى كونها أرملة أحد أشهر الفنانين، ومع ذلك فإن سماع كلماتها المغايرة لضميرها يثير بداخلي انتفاضة غيظ!»

ثم ابتسم ابتسامة، تتناقض مع ما يحس به من ألم نفسي، وكانت تعني:

«قبل دقائق انتقدَته، وقدحت في شرفه وذِمته بلا هوادة، والآن تنسج له من أبيات المديح قلادة؟!»

ظل صامتًا، عابس الوجه؛ إذ أحسَّ أن الجو الخانق الذي يحيط به قد غدا من الصعب تجاوزه أو الخلاص منه.

إن شعور الرفض الذي يتغلغل بداخله نحو ذلك الناقد لم يتغير، وكما أن المخرجة اصطنعت إزاء النقاد قاعدةً لا يمكنه قبولها، فقد تبنت رأيًا مفاده أنه لا يفعل بعض الأشياء التي كان ينبغي أن يفعلها، وأنه مسئول -هو نفسه- عن وضعه، إذ كانت تلومه "هبه أبوذكري" بلهجة ودية، وكان يستحيل عليه أن يتغير.

كان موقفه تجاه اللحظة الراهنة يتلخص في أن يُعلن للجميع أن مسئولية نجاح عمله القادم إنما تقع عليه وحده، وأن الإخفاق السابق ما هو إلا واحد من تلك المكدّرات التي يقابلها في حياته.

دام انتظاره شهرًا، شهرين، وقبل مرور عام، استقر على قصة الفيلم الجديد، وكان يحبس أنفاسه يوم العرض الخاص.

وعندما استيقظ في عصر اليوم التالي، وجد مقالة نقدية في الجريدة كتبها "حسن عاطف"، ولدى قراءة اسم الناقد بجوار صورته ضمن أحد مشاهد الفيلم، رفع رأسه ونظر إلى أعلى لحظات

كأنه يشتكي إلى السماء دون أن يتفوه بكلمة، ثم قرأ بضع كلمات كشفت كل شيء؛ لأنه نجح أخيرًا !

بعد أربعة أسابيع، أقام المركز الكاثوليكي المصري للسينما حفلًا بقاعة النيل للآباء الفرنسيسكان، ولدهشة الجميع، أعلن رئيس المركز الأب شنودة دانيال عن تلقيه رسالة على بريده الإلكتروني من أكاديمية فنون وعلوم السينما الأمريكية تخطره باختيار الممثل "أيمن سيف" للمنافسة على جائزة الأوسكار أفضل ممثل في دور رئيسي.

قبيل الفجر، عاد إلى حجرته، و أضاء الشموع؛ فرأى وجهه في المرآة التي كان يزيّن إطارها اللون الذهبيّ المبهج الذي لم ينتبه إليه في السابق، وقال:

-«لا شك أن طعم النجاح حلو، والأجمل هو أن يكون حقيقيًّا، هل كانت الأيام بتلك القسوة؟! تحرمني من النوم ليالٍ طوال تذوقت فيها طعم الظلم؟!"

استلقى على جنبه، ووضع يده تحت خده، ممددًا على ظهره، فدهش مما آل إليه الحال قائلًا:

-«نختنق في بعض الأحيان من ابتسامة النفاق بينما اعتاد المنافقون على العيش في سعادة، والأمر ذاته يحدث للملايين!

ربما أنا فقط من يريد تغيير هذا العالم بأكمله لكن أغلبيتنا تفوز دائمًا بغض النظر عن مدى رغبتنا في ذلك؛ لأن الأقلية يقبعون في المنطقة الحمراء المحرمة، فينتصر الغباء مرة أخرى،

بل للمرة الألف تغرق الفطرة القلبية السليمة في بحر من العبارات الجوفاء المزيفة.

هذا هو الواقع الذي أحاول أن أستثني نفسي منه لكنني أتساءل في حيرة: لماذا يستمر هذا الوضع؟

أليس بمقدورنا تغيير العالم من حولنا؟ هل نحن خائفون أم إننا لا نريد؟»

تذكر، في نشوة، ما حققه من نجاح مستحق على المستوى العالمي، وماتزال الشمعة في مكانها، ثم نهض؛ ليرى وجهه في المرآة فبدت عيناه تلمعان من الفرحة، كما أن الألم الذي اعتاد الشعور به، قبل نومه كل ليلة، قد توقف لأول مرة منذ وقت بعيد.

*****

طلب صداقة

تلقيتُ قبل بضع ساعات طلب صداقة على الفيس بوك، وأهديت صاحبته باقة ورود؛ فأمطرتني بوابل من الرسائل، تشكرني على قبول صداقتها، وتدعي أنها رقيب بالجيش الأمريكي، ضمن قوات حفظ السلام الدولية في المنطقة، ثم طلبت التعرف إليَّ، وسألت عن معظم تفاصيل حياتي!

برغم أنني لم أكتب في ردي كلمة واحدة عن نفسي، فوجئت بإصرارها على التواصل معي، وأقسمت أن تحبني، حتى آخر قطرة من دمها، وقالت إن مهمتها في سوريا ستنتهي بنهاية الأشهر الثلاثة القادمة، وتود قضاء إجازتها معي؛ إذ تخطط لتنفيذ مشروع استثماري تجاري في مصر، وسوف تديره بمساعدتي.

ولأنها لا تمتلك الجرأة الكاملة لفعل ما تريد، سألتني إن كان بإمكانها الوثوق بي، وبشغف وحماس أرسلت لها رسالة -أسرع من قطار مندفع- بأني لا أعبث بميثاقي!

أجابت في رسالة على البريد الإلكتروني:

-«تئنُّ سوريا تحت وطأة العقوبات، ونتعرض للهجوم الإرهابي باستمرار. منذ أسبوعين، عثرنا بالمصادفة، خلال إحدى المداهمات، على خزينة تحتوي على مبلغ ضخم من المال، وقد تم الاتفاق، من قبل الضباط الستة الحاضرين في تلك المهمة، على

تقسيم تلك الأموال فيما بيننا، وبلغت حصتي مليوني دولار أمريكي.

أطلب مساعدتك، بأسرع وقت ممكن، وقررت استخدام ربع هذا المال لبناء دار للأيتام والمحتاجين الذين دهستهم عجلات الزمن بطريقة أو بأخرى، وكذلك أفكر في استثمار باقي المبلغ، وقررت منحك نسبة ثلاثين بالمائة من الأموال بمجرد استلامها.

ولهذا أرسلت طلب الصداقة فور رؤية ملفك الشخصي، إذا كنت بحاجة إلى توضيح، أبلغني».

تعجبت من تلك المرأة: تريد إخراج مال آل إليها بطريق غير قانوني، واستخدام بعضه في أعمال المعروف!

ارتجفت كثيرًا، و تباطأت في الرد مغتمًّا من تأثير القلق وحدثتني نفسي:

-«قد أكون خائفًا من هذا الاقتراح، لكن الفرصة لا تطرق الباب سوى مرة واحدة، كما أنها قامت بترتيب كل شيء، وسيتم استثمار الرصيد المتبقي في المؤسسة الخيرية، ويمكننا إدارتها معًا.

إذا لم أنزل عند رغبتها، فلن أطرح هذا الأمر للمناقشة مع أي شخص آخر، وسأحذف هذه الرسالة».

تواصلت معها، لكني لم أتمكن من إخفاء قلقي؛ لذا أرسلَتْ جانيت جون رسائلها التالية بعدما غمرها الشعور بالسعادة:

-«أحيي شجاعتك، كما أؤكد أنك لن تندم، وسوف أقوم بتأمين كل شيء، وستصلك الشِّحنة جوًّا في أقل من اثنتين وسبعين ساعة

من تاريـخ المغادرة.

أريد أن أذكرك مرة أخرى أنها تحتوي على (مقتنيات وأغراض عائلية ثمينة)، وسأرسل بياناتك إلى شركة الشحن؛ لذا يرجى التأكد من صحة عنوان التسليم.

سأقوم فقط بسداد رسوم إدارية هنا، بينما تتحمل قيمة مصاريف الشحن كافة في بلدك، وأريد أن ترسل كل بياناتك الشخصية بالتفصيل الآن.

أتمنى أن تفكر جيدًا في الأحلام التي ستحققها قريبًا».

قرأتُ رسائلها الطويلة إلا أني أردتُ إنهاء الأمر؛ لأني تساءلت: ما الذي يجعلني أئتمن مَن لم أقابله في حياتي؟ لا توجد علاقة ناجحة دون تواصل، ومن دون الاهتمام المتبادل لا يوجد حب، علاوة على ذلك، لا يوجد سبب للاستمرار إذا انعدمت الثقة.

مرت بضع ساعات دون أن أرسل بياناتي، ولدهشتي تلقيت طلب صداقة جديد، تخوفت في البداية، لكن فضولي دفعني للمضي قدمًا، وأهديت إليها الفُل، ثم قالت إنها تعمل مع بنك ستاندرد تشارترد كمدقق حسابات في نيويورك، ولديها عرض رائع لي:

مات أحد عملاء البنك الأثرياء، وبرغم نشأته وحياته في مصر لكنه قضى أكثر من نصف عمره هناك تاركًا وراءه ستة ملايين دولار أمريكي.

توفي إثر نشوب حريق في منزله في شيكاغو قبل عشرة أعوام، وتوفيت زوجته في تلك الكارثة أيضًا، ولم يكن لهما أقرباء، وتواصلت باتريشيا فرانك معي لكي أرث هذه الثروة بمساعدتها بشرط أن نتقاسم المبلغ.

مرت الدقائق في صمت، تتقلص أحشائي والأرض تهتز تحت قدميَّ، وتساءلتُ في وجوم متخوفًا:

-«هل هذه الحسابات حقيقية؟ هل هناك أي علاقة بينها وبين أجهزة المخابرات أو التجسس في الدول المعادية؟ هل من الممكن تخيل هاتفي المحمول بين يدي شخص آخر يطَّلع على رسائلي الشخصية ورسائل البريد الإلكتروني وصوري العائلية، بل ويسجل مكالماتي ويتتبع موقعي ويلتقط صورًا لي في أي وقت أو وضع من أي مكان في العالم؟!

هل تم اختراق هاتفي -عبر طلبات الصداقة- دون أن أعلم؟! هل يكفي تنزيل برامج مكافحة الفيروسات على هاتفي للتصدي لتلك البرامج الضارة الخبيثة؟ وهل أنا الآن تحت المراقبة؟!»

على الفور، شعرت بقلبي يرتجف؛ فقمت بإلغاء صداقة هاتين السيدتين. وفي المساء، فوجئت بطلب صداقة جديد من سيدة أجنبية تدعى "راشيل كوهين"، ولا إراديًّا وجدتني خفاق القلب مرتعد الفرائص؛ فحصت حسابها الشخصي في خوف، وابتلعت ريقي، وتنفست في عمق، وبلا صبر حذفت طلب الصداقة، وللحظة تصلبتُ مذعورًا، وتسربت حالة من الهلع إلى نفسي ثم

جلست على الأرض مبعثر الشعر، أتساءل بصوت مبحوح:

-«هل بإمكاني التوقف عن استخدام الهواتف الذكية أو على الأقل حذف برامج مواقع التواصل الاجتماعي؟!»

*****

احتضار المشاعر

في صيف لافح، كنا نتحلق، مساء كل يوم، حول أبي كما لو أننا كواكب تدور في مدارات، تسبح في فلك، متقن الصنع، لا الشمس تدرك فيه القمر ولا يسبق الليل النهار، دفء صوته تألفه آذاننا، لا يجرؤ أي منا أن يقاطع حديثه، أو حتى يبدأ بسؤال، على الرغم من حنانه.

لم يهتم يوما بنفسه؛ فمنذ أن تذوقنا للحياة طعمًا، وهو أول من يستيقظ وآخر من يأكل أو ينام، نترقب وصوله ليضيء البيت.

في ليلة، كان الجو أفيح من جهنم، حتى إنَّ جسده كان مبتلّا من شعره إلى أصابع قدميه؛ فشرب الماء المثلج، وسكب الباقي على رأسه، وابتسم في سعادة غامرة قبل أن تهاجمه لحظات الموت!

وضعت لنا أمي غداءً دسمًا، وشرب والدي الماء المثلج ثانيةً، فكشرتْ بوجهه؛ لأنه لم يكترث لتحذيراتها من أن يصاب طحاله بسوء.

لم نكن نخلد إلى النوم حتى يُلقي علينا التحية، كأنه فاتح شهية، وكنت أرد: "تصبح على خير يا أحلى أب في الدنيا كلها".

كنا ننام، في أول الليل، بفعل الإحساس بأمن كلماته ودفء نظراته، نركض نحو الأسرّة، نحلم بالقصور والملوك والسلاطين و

عرائس البحر بمجرد أن نغمض أعيننا، نستيقظ في الصباح فلا نجده؛ كان يذهب إلى العمل، لكنه كان يربّت على أجسادنا ويمسح على رؤسنا ويقبل أيادينا و جباهنا قبل أن ينصرف.

عصر الليلة الماضية، كان يتلوى من الألم الذي سبَّبه الإسهال لثلاث ساعات متواصلة، يدوس بقدمه على الأرض بصعوبة شديدة، سمعنا صوت اضطراب معدته المصحوب بالآهات كأنه على فراش الموت، حاول إيقاف هذه الآلام مرارًا لكنه لم يستطع.

اليوم على غير العادة، لم تمر هالة النور من أمام حجرتنا، ربما التأخر على العمل حال دون ذلك، وسكت صوت المذياع لأول مرة منذ مدة، ازداد قلق إخوتي؛ لذا قمت بطرق الباب على أمي، غير أنها استمرت في نومها، فرجعتُ نحو غرفتي في عجب، تواصلتُ مع أبي عبر الهاتف، قال عمي إنه محجوز من الليلة الماضية تحت العنايةِ الفائقةِ بمستشفى دار الفؤاد بعد أن فقد جسمه معظم السوائل وأصيب بهبوط حاد في الدورة الدموية، غير أن أمي لا ترد على هاتفه!

تواصل عمي محاولًا أن يطمئننا، ولم يتوقف سؤاله عن السبب الذي منعها من زيارته!

لم يسلّم علينا أبي في تلك الليلة، وقد رافقته العناية الإلهية.

امتدت الليلة كأنها عقود، فكلما عاد لوعيه وجد نفسه مع آخرين في موقف مفزع، غير أن لكل منهم شأن يُغنيه.

بين الفينة والأخرى، في غرفته بالمستشفى، كان يُلقي نظرة علينا، ويحدق في وجه أمي في عجب وتساؤل.

انسلخ النهار من الليل، سمعتْ أمي صوت هاتفها المحمول، نظرتْ إلى شاشته، وجدت اسم "حليم عبد الصبور"؛ فأجابت هذه المرة في ترقب، خرجت أنفاسها متثاقلة، وراحت تلقي نظرة على أسرَّتنا غير أنها لم تربت على أجسادنا أو تقبِّل جباهنا.

عاد النور يملأ أركان البيت الموحش، جلست أمي هادئة وهي تنظر إلى أبي كأنها لم تتأثر بما مر به، سمعت عبارات اللوم، تنبعث من عينيه، قبل أن ينطق بها، ثم سمعنا جلبة وصراخًا، لا ندري هل من صدمة أمي أم من صوت أبي الذي نزل عليها كالصاعقة وهو يصيح:

-انتظرتك تغمرني الحيرة وتملأ كياني، أصحو من الاحتضار، وأبسط إليك راحتي فلا أجدك؟! هل نظل نحزن طوال عمرنا؟!

- لا أجد أحدًا أشرح له ما أعاني منه!

-سماح، أنت زوجة رائعة للغاية، غير أن قلبي يعتصر بين جوانحي، ويشتاق القلب الذي فقده، ويظل يتذكره دائمًا. إن العمر يتقدم بنا، فهل أظل وحيدًا هكذا، حتى في مرضي، بسبب خطأ واحد غير مقصود؟

-بل قل خطيئة لا تغتفر، أعتقد أننا بحاجة إلى طبيب نفسي يا صالح!

الحلم القاتل

في القصر الفخم الواسع الذي يتزين مدخله بلافتة رُخامية كُتب عليها فيلا اللواء يامن السيد، جلستُ وحيدًا، في صباح يوم مشمس، أتصفح ذكرياتي، مثلما أفعل كل يوم منذ بلغتُ السن القانونية للتقاعد، انتهى بي التفكير إلى قضية، حدثت قبل ثلاثة عقود، وأخذت أنتقل بين تفاصيلها، وكأنها قد حدثت قبل سويعات قليلة!

تلقيتُ خبر مقتل زوجة شابة في العقد الثاني من العمر واغتصابها بوحشية، بمزيد من الأسى لذويها وزوجها تلقوا الخبر، وتم نقل الجثمان إلى مصلحة الطب الشرعي.

تم تشكيل فريق البحث الجنائي وتعهدت ألا أدخر جهدًا حتى أوقع المجرم في قبضة العدالة جزاءً وفاقًا لما ارتكب من جرم.

في فجر اليوم التالي لمقتل زوجته، جلس يرتجف من الغيظ، وراح يطلق السباب، وأخذ يتصفح الجريدة التي حُملت إليه، ثم قال في لوعة:

-«لن يهدأ بالي حتى أتوصل لمن فعل تلك الفعلة، كيف تتحرك بصدره المشاعر، ويتلذذ بتلك الكوابيس المثيرة للاشمئزاز؟! لن أترك من انتهك شرفي بخسته ومرضه. هيهات أن أخلد إلى النوم دون الوصول إلى ذلك النذل».

قال ذلك وهو يمسك بالجريدة وقرأ فيها الأسطر المؤلمة التي يؤطرها خط أسود دقيق:

تواصل الشرطة عمليات البحث عن مغتصب الزوجة الشابة بعدما قتلها بوحشية !

الجميع تملكتهم الحيرة دون الوصول إلى أي مبرر منطقي لتلك الفعلة حتى يئسوا من إدراك الحلقة المفقودة التي تفسر دوافع تلك الجريمة، وشاركتُهم نفس الأحاسيس لدرجة أنني أصبحت جزءًا لا يتجزأ من تلك القضية.

كانت الأم الثكلى شاحبة، لا تخلع ثوب الحداد الأسود الكاسي، تنتظر بأعين دامعة لا تجف؛ فقد كانت تموت من الحسرة على فراق فلذة كبدها، لا بد أنها شاخت في بضعة أيام، وكان الزوج الممزق القلب يتجرع غصة الغيظ يتساءل عن سبب ما حدث!

أخذ يصف حاله وهو ينفث دخان سيجارته، وفهمت منه الكثير من التفاصيل برغم أنه لم يُطل الكلام.

قبل الحادث بعام، اكتفت برسم الشكل العام لحياتها في القاهرة حيث سيقيمان، وانتبه الزوج بفرح أنهما اتفقا على كل شيء. لم يُقم طويلًا في مدينة الإسكندرية، مسقط رأس زوجته، وفضلًا عن ذلك سُوِّي كل شيء بنجاح وتفاهم؛ فلم يفارقه طيبُ مزاجه، وبخاصةٍ بعد أن بدا كل شيء كأنما أقيم من أجلها.

بدأت قصة حبه حين سحره جمال ابنة الجيران، التي يكبرها بربيع، بينما كانا صغارًا؛ إذ كانت طويلة بيضاء ممشوقة القوام فائرة

ذات شعر طويل ناعم أخذت من الأم العود. كبر الغرام في قلبيهما وتبادلا بعفّةٍ نظرات الإعجاب كلما التقيا حتى سيطرت على وجدانه.

تساءلتُ وأنا أقرأ الأوراق التي اجتهدتْ التحريات في رصدها فلم تغادر صغيرة ولا كبيرة:

-«يا أرض تكلمي، هل هو من قتل زوجته -التي هام بها عشقًا ورأى فيها أجمل النساء على وجه الأرض- لأي سبب؟ هل قتلها الحقد أو الحسد أو الغيرة؟»

لم يُذهب عقلي جماع القاتل لجثمان تلك الشابة القتيلة؛ وبخاصة أنني قرأت عن اضطراب نفسي، يسمى «النيكروفيليا»، حيث قال المؤرخ الإغريقي هيرودوت في كتاب «تاريخ هيرودوتس» إن المصريين القدامى كانوا يحتفظون بجثة المرأة الجميلة لعدة أيام، وربما تركوها عرضة للشمس حتى تظهر عليها علامات التحلل والتفسخ؛ لجعلها أقل جاذبية في أعين الكهنة والرجال الذين يتولون مهمة تحنيطها؛ لمنع تكرار ممارسة المحنط الجنس مع جثة امرأة جميلة!

رجَّحتُ أن تكون قد قتلت بسبب الحادثة التي تعرضت لها؛ إذ وقعت الواقعة بعد وفاتها وليس قبلها.

وضعتُ التخمينات المختلفة، فاستبعدتُ الزوج الذي كان في حالة يرثى لها، وأدركت أن من قتل تلك الشابة إما أنه أراد ممارسة الجنس معها دون مقاومة، أو ربما كان على علاقة سابقة بها قد

سببتْ له جرحًا عاطفيًّا؛ لذا جمعتُ كل المعلومات الممكنة عن القتيلة مهما بدت تافهة، واستمعتُ إلى كل من له علاقة بها مهما كانت سطحية، وبخاصة إن كان هناك من هام بها عشقًا ورفضت حبه حتى ولو في أيام الطفولة!

كانت الأيام التالية شديدة القسوة، والزوج يفتش عن قاتل زوجته في ذكرياته، والوقت يمر ببطء شديد.

بحث في كل شيء، ولم يجد سوى ألبوم صورها، ولفت نظري وجود رجل في كل مناسبات تلك الأسرة!

سألت الزوج فلم يجبني، ثم انطلق يسأل حماته متلهفًا؛ إذ وجد في نظرات هذا الشاب ما يثير شكوكه هو الآخر.

نفت الأم عنه الاتهام نفيًا مطلقًا:

-«أحبها كثيرًا، وحضر زفافها دون دعوة على الرغم من رفضها الزواج به»

صار هذا العاشق المشتبه به الوحيد غير أن القضاء قد أغلق بالفعل ملف القضية، ولم يكن من اليسير فتحه مرة ثانية لمجرد تخمينات.

ولأن المصائب لا تأتي فرادى، تلقت اتصالًا هاتفيًّا لتحديث بياناتها، فأخبرتْ والدتها أنها تشعر بالقلق عندما طلب كلمة المرور، إلا أنها طمأنتها بسبب تحديث بياناتها قبل يومين. رفضتْ في البداية، لكنه أكد على إيقاف بطاقة الصرف الآلي إذا لم يتم تغيير الرقم السري برقم جديد.

وبعد أقل من ساعتين، مقابل عمليات شراء إلكترونية، تم سحب كامل الرصيد!

أخبرني كرم برؤية غريبة رآها ليلة الجريمة؛ حيث جلست زوجته شاردة على مائدة الطعام، وفجأة سقط ضرسها بعدما نفد طعامها، واصطحبها والدها الميت وخرجا معًا، ولمَّا سأله الزوج عن الوجهة لم يُجبه!

كان عليَّ أن أدرس ملف القضية جيدًا لإعادة فتح التحقيق؛ تركتُ منزلي لساعات طويلة، وباختصار، كرستُ حياتي من أجل التيقن من هوية القاتل.

سافرتُ إلى الإسكندرية، ولم يفارقني القلق الذي سبَّبه إصراري على الوصول إلى المعلومات التي تقطع كل شك؛ لذا تحدثتْ زوجة المشتبه به، وأوضحتْ أن كل شيء يخص زواجهما قد سُوِّي على أكمل وجه، غير أن علاقتهما ساءت من أول ليلة، حيث قالت:

-«كان يستعد لليلة الزفاف بشغف، لكنه بدا طوال الحفل شاردًا، وقد قضى الليلة وحده يتحدث هاتفيًّا مع شقيقيه اللذين أصبحا على حين غرة لطيفيْن، ودوديْن، وانتظرته في الفراش متظاهرة بالنوم، ووقع ما نسف سعادتنا من جذورها؛ فكلما أخفق معي كان يتأوه، ويجثو على ركبتيه، وينخرط في البكاء، ويقسم بشدة حبه لي ضاربًا رأسه بيديه!

كانت معظم الأفكار التي تتصارع في رأسي حينها تعزلني عنه زمنًا حتى غرقت في بحر كراهيته.

وجدت، في صباح اليوم التالي، قصاقيص ورقية في دولابه، أشبه ببقايا مفكرة ممزقة، حاولت مرارًا وتكرارًا تكوين جملة أو عبارة ذات معنى دون جدوى».

اجتهدتُ في حل اللغز إلى أن تمكنت من فهم معناها؛ إذ كان في خلفيتها صورة لخريطة مصر !

كتب ما أخفاه عن الدنيا بأسرها:

-«أدمنتُ الحلم بها؛ إذ كانت ليلى فتاة لا توصف، كم توقفت شاخصًا ببصري أمام منظر ظلها الساحر، لكن مخيلتي تولت باقي الأمر حتى إنني رأيتها من منبت شعرها حتى أصابع قدميها. لم تمر ليلة دون أن أحلم بها تنزع ثيابها، وثغرها الوردي يمص روحي حتى صارت كالإعصار في جسدي».

ابتلعت الزوجة ريقها وواصلت اجترار الذكريات:

-«الشيء الوحيد الذي يشغل تفكيري هو رؤية شكل المرأة التي سلبَت عقله».

أدركتُ أن القاتل أحبها حد الجنون، ولم يرتضِ الوقوف مكتوف اليدين، وخطر لي أنه رصد تحركات الضحية، وحوَّل كل اهتمام حياته إلى الوصول إليها، حتى ولو كانت جسدًا ميتًا.

أُعيد فتح التحقيق في القضية، وتم ضبطه بأحد الأكمنة؛ فوضعت الحرب الدائرة في رأسي أوزارها.

ها هو جمال زايد، شاب أبيض مألوف الوجه ممتلئ الجسد له عينان زرقاوان واسعتان، يتمتع بغريزة الحيوانات، ويبدو وضيع الأصل بوضوح تام، برغم أناقة مظهره لكن هذا القناع لن يخدع أحدًا.

بمواجهته اعترف بارتكاب ذلك الجُرم، كما أقرّ بالاستيلاء على أموالها، غير أنه انهار فاقدًا الوعي بعد أن توقف قلبه فجأة في أثناء تمثيل جريمته.

*****

حلاوة الروح

قبيل الفجر ، في الغرفة التي تتزين حوائطها بصور تتويجه ، على مدار سنوات طويلة متعاقبة ، أوصى الأب المسنُّ ولده ، الذي ظل مهمومًا طول الليل ، بأعين يؤرقها السهر ، يرتدي القميص الأحمر ، جلس على سريره منكِّسًا رأسه بين ساقيه ، وقد غضب آسفًا بعد ضياع أحد الألقاب التي ينافس عليها ، وخاطبه بصوت مرتفع تغمره الحَميَّة :

" هيثم ، ولدي الحبيب ، لا أحد يتذكر سوى البطل ، وهو يحلق في الفضاء منفردًا بالصدارة ، في استحقاق وجدارة ، حتى وإن حققتَ اثنتين وأربعين بطولة ، لن يشبع محبك على اختلاف عمره ، ولونه ، ولسانه من رؤيتك متفوقًا ، وإن صرتَ بطلًا خمس مراتٍ قاريًّا وعالميًّا في عام واحد، ثم أخفقتَ ، ولو في مسابقة وديَّة، سوف يشعر محبك بالأسف ! ارفع رأسك عاليًا في شموخ ؛ أنت بطل يسبق ، بألقابه المشرِّفة ، أقرب ملاحقيه بعقود ، غير أنك تلعب لتقبل لحظة الانكسار ، وتتخذ منها حافزًا ، يجدد الرغبة بداخلك ، تصافح خصمك ، في تسليم ، مثلما ، يعاني هو ، بينما تبتهج أنت لحظة الانتصار ."

*****

لحظة العمر

عادا برفقة والديهما، بعد صلاة الفجر ، ينظر الأول في صمت كمن يحمل همًّا، أما الآخر فيمشي خفيف القلب، وقال مبتهجًا :

-" نويت أسمِّيه على اسم جدي، أو على اسم أمي، السونار يحسم لنا الأمر"

في حجرته التي يتزين أحد جدرانها بصورة والديه أثناء أداء فريضة الحج، بينما يزدان الجدار المقابل بصورة زفافه، وبصورة أخرى له مع زوجته وولديه، يختم الأب الصلاة، في سكينة، ينعم برائحة بخور المسك الذي يجعل القشعريرة تسري في جسده.

يخلد للنوم بعد أن يشهد قرآن الفجر، منذ تقاعد من عمله المرموق، حتى يوقظه منبه تليفونه المحمول، قبيل صلاة الظهر.

يرتفع صوت العصافير، على الأشجار المجاورة للبيت، إيذانًا بإعلان مولد صبح جديد، يمر الولدان على الأب بالدور الأرضي، ثم ينصرفان إلى العمل كالمعتاد .

يعمل صلاح مهندس ميكانيكا بشركة مقاولات، و طارق معلم تربية بدنية.

في الطريق ، تجاذب الأخوين أطراف الحديث، ثم انتبه صلاح أن البنزين يكاد ينفد، وأبدى ضيقه من الانتظار في طابور طويل؛ قد يؤخرهما عن الوصول إلى العمل في الموعد المنضبط، هو

بطبيعته صبور غير أنه أراد، هذه المرة، أن يتعجَّل من غير تأنٍ.

تذكر، في سعادة، ابنته التي تشبه حركاتها كل تفاصيله المطبوعة في ذاكرته! حينئذ، اقتحم سائق سيارة أجرة، نحيل الجسد متفحم الأسنان، طابور السيارات المنتظر ، من الجانب الأمامي؛ تحدث صلاح معه بأسلوب راق مهذب، لكنه لم يتوقف عن السباب؛ فنزل طارق، مفتول العضلات عريض المنكبين مهيب البنية، يلومه مهددًا بتهذيبه، غير مكترث لكبر سنه، إن تمادى؛ فاشتبك معه لفظيًّا!

تخوف صلاح من تطور الأمر عن هذا الحد، كما خشي وجود لصوص في المكان؛ فطلب من شقيقه الانصراف.

بعد دقائق، اتصل طارق به، فتلفَّظ بصعوبة شديدة :

-"أنا ... آآآآه."

عاد إليه مسرعًا، يسابق الريح، وجده يلفظ أنفاسه الأخيرة، أتى مِن خلفه مَن ضربه بأداة حادة على رأسه؛ فسقط مصروعًا مطروحًا على الأرض يتخبط في دمائه.

تذكر وهو ملقى على الأرض لا حراك فيه، مواقف مرت على مدار سنوات عمره، استرجع طموحات وأحلام تحتضر أمام ناظره!

استيقظ الأب من نومه مصدومًا، قبل موعد المنبه؛ إذ سمع ما لا يمكن توقُّعُه؛ فشعر بآلام شديدة في ظهره كأنه انشطر نصفين، وحاول النهوض مرارًا، لكن قدماه خانتاه لأول مرة في حياته !

اصطحبه ابن عمه بسيارته إلى المستشفى، وخطرت بباله، طوال الطريق، كل الخواطر المبهجة والأخطار التي جمعته بولده، ها هو يحمله صغيرًا فوق كتفيه يرقص به وهو ابن خمسة أعوام، ويمسك بيديه في أول أيام الدراسة، ويحتضنه فرحًا يوم نتيجة الشهادة الإعدادية، ويبتهج قلبه ليلة زفافه.

صارع صلاح الموت، وأخذ يستعيد لقطات طفولته، وتدليل والديه؛ فتذكر كيف كان أخوه يشد عضده، وفي اللحظة التي ابتعد عنه هلك !

تذكر كيف كان يحزن من توافه الأمور، و كيف كان يحلم أن يبني لابنه مستقبلًا، تذكره وهو يلعب حتى كاد يسقط، فنهض ليمسك به، وكيف أقسم، وهو يدلل ابنته الرضيعة، ألا يتزوجها إلا من يعرف قدرها، وأن يضعها في كفة، ويأتي بالماس مهرًا لها، في الكفة الأخرى.

تذكر متعجبًا، كيف خرج مسرعًا إلى العمل، دون أن يتناول فطوره، كأنه يهرول لملاقاة موته؟!

دهش في ذهول، كيف ماتت أمه؛ بسبب سائق متهور صدم التاكسي الذي كانت تستقله إلى العمل، وفر هاربًا؛ فتبسم ضاحكًا من أن نهايته مثلها على يد سائق طائش !

نظر إلى أخيه مبتسمًا، وفي لحظة فارقة أمسك بيده موصيًا :

-"الآن آنَ لي أنْ أرتاح، اهتم كثيرًا بأولادي".

ثم فاضت روحه !

بينما كان العرق يفيض من جلد شقيقه مثل ريـح المسك، لم يتمالك نفسه، فانهار باكيًا، وفي غمضة عين حضرت سيارة الإسعاف ورجال الشرطة.

جلس يتذكر اللحظة التي رحل فيها شقيقه، على أهون سبب، وتذكر مواقف الطفولة، المليئة بالضحك، وزيارته في مركز تدريب الجيش، أول مرة غاب صوته عن البيت لخمسة وأربعين يومًا !

فتَّ الموت في ساعده، أظلمت الدنيا في عينيه، توقف نهر حياته عن الانسياب، و بدأت عقارب الساعة تدور ببطء شديد ، أو ربما كفَّت الأرض عن الدوران !

امتلأت صفحات الفيس بوك بكلمات شقيقه السعيدُ الذِّكرِ، بعد أن تفرقت بهما السبل؛ بللت الدموع وجنتيه، وصورة ملامحه المستبشرة لا تفارقه أينما ولَّى، راجيًا أن يتجاوز تلك المصيبة حتى ينفذ وصيته، كما أنه قرر أن يسمي أول ولد له على اسمه.

*****

النسب

تسابقوا في نقل متاعها، تخلى الجميع عن الضمير، لا فرق، الزاهد والفاسق، تمتزج أنفاسهم في سباق محموم، حملوا الأمنيات والخيبات. أذهلها رؤية هذا العابد وسط حشد من الظالمين، وقد حُشروا في زمرة الخائنين.

تأملت عينها الباكية أياديهم تخطف الأثاث الخشبي المغلف بفرحتها، كمن ينزع الأظافر من يدها، أول لحظات زواجها وذكرياتها التي قتلها الجبن والخذلان، الزوج وأمه وأهله وأقاربه وجيرانه مضغوا جميعًا أملها في الحياة، فتحولت إلى مأتم عزاء، وداس الزوج على لحمه وكشف عنه ستره، وضيع الأمانة.

داهم الجمع صوت كاظم الساهر ينبعث من سيارة "ملك أنا لو تصبحين حبيبتي". ردت في عجب: كلام في كلام !

"رجل" .. أحيانًا تكون مجرد كلمة في بطاقة الهوية.

في الشارع المكتظ بالناس، أوهمها ابن عمه الورع، أن تنصرف دون إبلاغ الشرطة، على وعد أن يأتيها بحقها غير منقوص، الزوجة الهادئة رق قلبها تحلم أن تعود المياه لسابق جريانها: في الأول والآخر أبو عيالك.

تركت ابن عمه مكانها يحرس مالها غير أنه صرف عينيه عنها ومد يد العون في تهريب متاعها!

علا صوته: بالراحة دا مال ناس!

نقلوا الأثاث بعد منتصف الليل، تعاونوا على الإثم، حملوا أوزارهم وأرزارًا معها، ولم يبق في مسكن الزوجية ما يدل على وجودها.

خُيرت: الأولاد أم حقوقك الزوجية؟

خيار أمرُّ من الحنظل، تترك الحقوق لتعيش على الآلام الدفينة مع الأطفال الضعيفة، عادت لشقتها التي استأجرتها لتسترها من عراء حياتها التي صارت مشاعًا على الألسن، همَّها مستقبلها، وتركت أسواط الزمن أثارًا عليها، ينهش الجوع في بطونهم، ويطاردهم القلق ويتعقبها كل صياد كالطريدة.

لا يُلقي لأبنائه بالًا، ولا يدري أنه يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، خاب وخسر!

على الأثاث الفاخر الذي لا يستحقه، سيتزوج . قالت الأم إنه سوف يتزوج بكرًا لم يمسسها أحد، وشرط تكون دكتورة، فلتبحث تلك المسكينة لنفسها عن مقبرة، وانتشر الخبر في أرجاء المنطقة، وبدَّل زوجها حُسن الحياة قبحًا، فخرجت تقصد بيته:

الحياة قصيرة، ارتفع الضغط لدي، ووصل الدم مخي، وكدت أموت، و لست في حاجة إليك برغم أنك أعطيتني وعدًا ألا تخذلني، لكن نظرات الأغراب تطاردني، و دروس الأولاد الصعبة تهدد نجاحهم، استدار الزوج وقال:

- أنا رجل عصبي للغاية، و لا أستحق زوجة عظيمة مثلك، أنا

ميكانيكي، تعليمي بسيط وفكري محدود، لكنك مهندسة مثقفة بنت ناس، ربنا يوفقك مع غيري.

سمع الناس توسلاتها، يتحسرون.

عادت تجر أذيال الخيبة، فوجئت بوقع أقدام تتبعها، ثم وقف أمامها رجل، أو كأنه كذلك، لم تسمع له إلا همسًا : مستعد أرمي الفلوس تحت رجليك، قولي آه.

أجاب الله غوثها، ومر في تلك الأثناء أحد الكبراء، اختفى المتحرش من أمام لطيفة التي اصطحبها -إلى باب بيتها- هذا الوجيه، وظنت أنه أراحها من عواء ذلك الكلب غير أنه فاقه نباحًا.

*****

جزاء سنمار

" في السابعة صباحًا تبدأ رحلة البحث عن عمل، نعم، تقول لي:

إنني كنت أعمل في وظيفة يحلم بها كل شاب فأقول لك إنني الآن بلا عمل، ولم أفقد الوظيفة فحسب بل فقدت كل شيء، لم أقصر لحظة إلى أن تعرفت إلى أحد الكبار مصادفة قبل أربع سنوات، كما أن هذا الرجل قربني منه حتى أحببته، فما هي المشكلة إذًا؟

في مكتبه، يجلسون ويتهامسون، ثم أدخل أنا مرتدياً البدلة الأنيقة، وتحت إبطي الجريدة التي طلبها، وفي يدي فطوره فيصمتون، ويأبى الكلام أن يخرج.

يمر الوقت ببطء شديد، نفوس تتبدل، وجوه ساحرة في كامل زينتها، ووجوه كالحة، وتستمر الدوامة، تستمر كاليوم السابق حتى المساء، فأنا كما ترى يا أسطى (حمدي) إنسان فاضي وفاشل؛ فلا أملك سوى الوقت كي أتساءل عن أسباب خسارة وظيفتي، وحين ينصرف آخر صاحب خدمة من غرفته هذه، أكون قد تحولت إلى خرقة بالية؛ أعددت المئات من أكواب الشاي، وقتلني الانتظار فيتلاعب بي معتذرًا: ولا حتى دقيقة واحدة بعدما أنهكني الجميع!

أرمق وجهه الأسود، وعينه المفعمة بالمراوغة، ونبرات صوته المغلفة بالخداع، وأتركه رافضًا تصديق ظنون أمي التي أعود إليها لأجدها عاكفة على إعداد العشاء، تتردد من الباب إلى الشباك تتصفح وجوه المارة بحثًا عني!

تقول لي وهي تضع الطعام أمامي :

- «أنت بحاجة إلى أن تعود لوظيفتك، كلما كان سريعًا كلما كان أفضل، هذا الرجل المستغل لا يشغله ما تكنه له، هو ملء السمع والبصر بما يتنعم به من مال وسلطان لكنك أنت الخاسر الوحيد».

فأقول وأنا أترك اللقمة من يدي محتجًّا :

«ماذا سيفعل أكثر مما فعل؟ قابل صاحب العمل وقد كنت بصحبته، كوني مطمئنة؛ سأعود قريبًا».

-«أخاف أن أموت قبل أن يفي بوعده».

-«لم يطلب مني سوى الانتظار، وعلى كل حال أنا لا أترك فرصة إلا وطرقت بابها؛ إنني لا أحب ما أصبحت فيه كثيراً».

تقول وهي تصب الماء في الكوب :

- «أنا بحاجة إلى ابني، وإلى وظيفته التي ضاعت بسبب هذا الطاغية، لقد فعلت كل شيء من أجله بينما هو لم يحرك ساكنًا لمساعدتك».

-«أنتِ بحاجة إلى أن تحبي هذا الرجل».

تثور في وجهي، وتدير ظهرها لي، وهي حيلة لا بأس بها تمارسها معي كثيراً: التظاهر بأنها مستاءة مني؛ فأنا لا أقوى على رؤيتها حزينة، وهي تعلم ذلك؛ لذا أتجنب التلميح إلى أي موضوع يضايقها، وتجدها وسيلة فعالة في أي مشاجرة، تعلن لي أن مشكلتها هي الحاجة إلى رؤيتي سعيدًا مستقرًا مع زوجة وولد، من ثم أغير الموضوع فوراً وأكف عن جدالها.

لقد طلبت مني الابتعاد عن هذا الورم السرطاني مراراً لكن قلبي لا يطاوعني، وبحب غير مفتعل يأبى ذلك، وهي تمقت أن يقترب أحد شبرًا ممن لا يبادله الحب الصادق بحب أخلص؛ لهذا لم تسعدها محبتي له، بل وينقبض قلبها كلما سمعتني أنطق اسمه.

إنها لا تحب أن أُلقي بنفسي في أحضان من يمسك بيده خنجر يطعنني بينما يبدو أمام الجميع يفتح لي ذراعيه، وهذا الرجل خائن، خائن من طراز خاص لا يمكن أن يجود الزمن بمثله!

وفي ساعة متأخرة من الليل، أمسك بالمسدس المائي الذي اشتريته هدية عيد ميلاد لأقدمها لحفيده، الذي أشعر معه أني أمتلك الدنيا بحذافيرها، أنفاس متقطعة تخرج من صدري المضطرب، العرق يتصبب من منبت شعري حتى أصابع قدمي، جفاف الريق يُشعرني بالاختناق، سبابتي تتحرك بطريقة لاإرادية صعودًا وهبوطًا على الزناد!

ألقيت المسدس، الذي لم أعد أقوى على حمله برغم خفته، من يدي وأنا أخاطبها: "ماذا دهاكِ أيُّتها اليد؟! وددت لو قطعتك؛

أليس هو من حطم مستقبلي ؟!!!" صرفت بصري عن صورة ذلك الطاغية المعلقة على جدار قلبي، وأطفأت الضوء الكهربائي على أمل أن أخلد إلى الراحة تلك الليلة.

❋❋❋❋❋

الكاتب في سطور

- الأديب أحمد عبد الله إسماعيل.
- مواليد قرية كفر مجاهد، مركز كوم حمادة، محافظة البحيرة في ٢١ يناير ١٩٨٢.
- حاصل على درجة الليسانس في الآداب والتربية قسم اللغة الإنجليزية، جامعة الإسكندرية فرع دمنهور عام ٢٠٠٢.
- روائي وقاص ومترجم.
- (٢٠٠٢-٢٠٠٨) معلم لغة إنجليزية.
- (٢٠٠٨-٢٠١١) مترجم فوري بشركة العيوني للاستثمار والمقاولات بالمملكة العربية السعودية.
- (٢٠١١ حتى منتصف ٢٠١٨) محاضر لغة انجليزية بشركة أنابيب البترول، ومترجمًا فوريًا بأمانة مجلس الادارة.
- عام ٢٠١٨ انتقل للعمل بشركة غاز مصر رئيسًا لقسم العقود.
- عضو لجنة الإعلام بالنقابة العامة للبترول.
- شارك في المؤتمرات التي ترفع درجة الوعي لدى العاملين بقطاع البترول بشأن المشاركة في الاستحقاقات السياسية.

- شارك في حلقات تليفزيونية للتعريف بأهمية التعديلات الدستورية عام ٢٠١٨ .

- حصل على دبلومة في "فن تحرير الخبر الصحفي والإعلامي" بتقدير جيد جدًا من الأكاديمية العربية للإعلام والتنمية البشرية.

- كتب العديد من المقالات في الشأن العام والشأن السياسي في عدد من المواقع الإلكترونية الصحفية وموقع النقابة العامة للعاملين بالبترول منها "حقيقة شائعة تمويل العاصمة الإدارية من الموازنة العامة للدولة" ، " درع وسيف" و "عقيدة الجندي المصري" و"مصر وزعامة قارة أفريقيا" وكلها متاحة على محرك البحث على الانترنت.

- نال الدكتوراة الفخرية من أكاديمية الطليعة للاستشارات والتدريب في مارس ٢٠١٩ وتم اختياره مستشارًا إعلامياً للأكاديمية.

- في يونيه ٢٠١٩ شغل منصب "رئيس لجنة العلاقات الخارجية" في الاتحاد الدولي للتنمية المستدامة التابع لبرنامج الأمم المتحدة الاقتصادي والاجتماعي .

- تمت استضافته في العديد من المقابلات التليفزيونية للتعريف بالتنمية المستدامة، ويمكن الوصول لتلك الحلقات على محرك البحث على الانترنت.

· شارك في العديد من المؤتمرات الدولية كمتحدث رئيس منها علي سبيل المثال لا الحصر "مؤتمر تمكين قادة مصر المستقبل" التابع للمجلس الوطني للتدريب حيث تم منحه الدكتوراة الفخرية، وكذلك مؤتمر "دور المرأة العربية في تحقيق التنمية المستدامة" و"مؤتمر التشريعات القانونية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة" و"مؤتمر دور ريادة الأعمال في تحقيق التنمية المستدامة"، وتم تكريمه بمنحه دروع وشهادات تقدير بها.

· تمت مناقشة رواية فارس برمنجهام في ملتقى السرد العربي في سبتمبر ٢٠٢٠ وقدمت دراسات نقدية رائعة من قبل الدكتور/ حسام عقل، والأديبة/ هبه السهيت، والأديبة/ أندلس رشدي، والأديبة/ إنجي الحسيني، والأديبة/ غادة صلاح الدين، والأديبة/ وفاء عبد الحفيظ.

· ترشح لعضوية مجلس النواب المصري عن دائرة كوم حمادة بالبحيرة عام ٢٠٢٠.

· نشرت له ثلاثة أعمال أدبية عام ٢٠٢٠ وهي رواية المخاض، والمجموعة القصصية زفاف في زمن الكورونا، ورواية فارس برمنجهام عن دار أفاتار للطباعة والنشر.

· نال عضوية الاتحاد الدولي للغة العربية بدولة لبنان في شهر يوليو عام ٢٠٢٠.

· صدر له عام ٢٠٢١ رواية دوام الحال عن دار أفاتار للطباعة والنشر.

· نال العضوية العاملة في اتحاد كتاب مصر شعبة الرواية والقصة شهر أغسطس عام ٢٠٢١.

· نال عضوية الاتحاد الدولي للترجمة بدولة لبنان عام في شهر يوليو عام ٢٠٢١.

· نال عن مجمل أعماله لقب "شخصية العام في الأدب العربي" من النادي الدبلوماسي الدولي للأمم المتحدة بدولة ليتوانيا في السابع من شهر مايو عام ٢٠٢١.

· نال درع شركة غاز مصر لتميزه في مجال الأدب في سبتمبر عام ٢٠٢١ في إطار تشجيع ودعم الشركة للموهوبين من أبنائها.

· اجتاز بنجاح دورة "فن كتابة السيناريو" التي أقيمت في مقر اتحاد كتاب مصر في الفترة من الرابع من سبتمبر حتى منتصف شهر أكتوبر عام ٢٠٢١ تحت إشراف السيناريست الكبير / إبراهيم علي والسيناريست الكبير/ أبو العلا السلاموني والمخرج القدير / محمد فاضل.

· تمت مناقشة روايتي المخاض ودوام الحال، في مؤسسة تنمية الأسرة والمجتمع بحي العجوزة بالقاهرة، نظمها صالون غادة صلاح الدين وصالون بنت النيل الدكتورة زينب أبو سنة في نوفمبر ٢٠٢١ وقدمت دراسات نقدية رائعة من قبل الدكتور / أحمد فرحات والدكتور / محمد عليوة والدكتورة / نوران فؤاد والأديب

السعودي / أحمد الشدوي والناقد الشاعر / ياسر أنور والدكتورة/ حنان إسماعيل.

للتواصل مع الكاتب:

- تليفون ٠١٠٩٩٨٣٤٩٩٤ – ٠١٠١٤١٢٠١٠١ – ٠١٢٠٢٩٧٢٤٠٧
- بريد إلكتروني:

Ahmed.abdala.7115@gmail.com

- فيسبوك: أحمد عبدالله إسماعيل

*****

فهرس